تدوين السنة النبوية

إعداد
دكتور/ صالح بن أحمد رضا

الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة

هـذا البحـث :

الحمد لله منزل الكتاب، وخالق القلم، ومعلم الكتاب، وكل شيء عنده في كتاب.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وخاتم النبيين، لا كتاب بعد الكتاب الذى جاء به، ولا بيان إلا بسنته المدونة في الكتب. وبعد.

فهذا البحث الذي بين أيديكم هو بحث صغير عن موضوع هام من الموضوعات المتعلقة بالسنة النبوية، حاولت فيه أن أجمع المتفرق في الكتب الحديثية المختلفة لإظهار الحقيقة حول «تدوين السنة النبوية» وأنها دونت دون فارق زمني يذكر في عمر الأمم، والتاريخ بين التدوين، وبين وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا كانت السنة النبوية هي أصدق السنن الموجودة فوق سطح الأرض بالنسبة لجميع الأنبياء والمرسلين.

وإن كان هذا البحث قد طرقه قبلي بعض طلبة العلم، إلا أني متميز عنهم إذ رجعت إلى كتب السنة النبوية لآتي بالأدلة الواضحة البينة لأثبت ما أذهب إليه، ولهذا، فإنني في السبيل إلى الوصول إلى ذلك قد قرأت الكثير فى كتب السنة لأصل في النهاية إلى ما وصلت اليه من النتائج الواضحة بأن تدوين السنة كان أمراً طبيعياً عاديا في زمن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزمن صحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وليس أمراً مستحدثا جديداً لم يكن يعرف في ذلك الزمن.

وهذا البحث مقتطع من بحوث عدة تؤيده وتسانده لتتكامل الصورة أمام أعين القراء، ويطلعوا على الجهود الجبارة التي بذلتها الأمة في هذه السبيل حتى خلصت لها سنة رسولها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم، وتناقلتها الأجيال سليمة من كل دخيل، محفوظة من كل مكر.

وقد مشيت في هذا البحث باستعراض الكتابة عند العرب، قبل الإسلام، وبعده، ثم قارنت بين القرآن الكريم، والسنة النبوية بالنسبة للكتابة، ثم ذكرت شيئاً مما كتب في زمن

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمره، أو بعلمه، أو بإذنه، ثم جمعت الأحاديث الواردة عن كتابة السنة النبوية، وبعد ذلك انتقلت الى «تدوين السنة» زمن الصحابة، مستعرضاً من كان يرى جواز الكتابة، ومن لم يكن يرى الجواز من الصحابة رضوان الله عليهم ـ ومن بَعْدهم من التابعين وغيرهم، إلى أن وصلت إلى الحديث عن التدوين الرسمي للسنة، وأوائل المصنفين في العالم الإسلامي، وختمت البحث ببيان الطريقتين التي اتبعها علماؤنا في تصنيف السنة النبوية عبر العصور الممتدة.

هذا وأرجو من الله ـ العلي القدير ـ أن يكون في هذا العرض للأطوار التي مرت بها السنة النبوية بالنسبة للتدوين ما ينفع شباب الأمة، ويرسخ ثقتهم بالسنة النبوية الشريفة على مر الدهور، وكر الأعصار.

والله أسأل أن يسدد أعمالنا، وأقوالنا، ويأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه خير الأمة في الدارين. إنه سميع مجيب.

والحمد لله الموفق لكل خير .

العلـم والكتـاب :

إن من نافلة القول أن يتكلم المرء عن مكانة العلم في الإسلام، وما كان للعلماء في ظلال هذا الدين العظيم، فقد وردت في ذلك آيات عدة، وعقدت لها أبواب جمعت أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحث على العلم، وجزاء العلم في الدنيا والآخرة، ولا أرى سرد ذلك في هذا المكان مناسباً فذلك له مكانه الخاص به.

وأداة العلم التي يمكن للإنسان أن يحفظه بها، وينقله إلى من بعده هو «الكتاب» يطلع عليه الناس، ويفهمون ما فيه، ويعملون بما يدلهم عليه ويزيد أهل العلم عليه، وينقحون علومه، ويرون فيه رأيهم، ويستدركون ما لعله قصر فيه عصراً بعد آخر، وجيلاً يأتي بعد جيل.

فالكتاب أصل العلوم كلها به وصلتنا، وعليه يعول طلبة العلم، ويتسابقون للحصول عليه، والفوز به، ولعل لهذه الحكمة كان كلام الله تعالى كتاباً يتلى، وتتداوله الأيدي على مر العصور، وكذلك جاء في كتاب الله ـ جل وعز ـ ذكر القلم والكتابة فقد أقسم الرب سبحانه بالقلم وما يكتب فقال

« نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ »(١)

وقال سبحانه

« وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ »(٢)

وقال جل من قائل

« كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا »(٣)

وقال سبحانه

« وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ »(٤)

(١) سورة القلم آية/١/.
(٢) آية/٢/ سورة الطور.
(٣) الإسراء آية ٥٨
(٤) الزخرف آية ٨٠

وقال سبحانه

« أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ »(٥)

وقال الرب عز وجل

« وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ »(٦)

وقال تعالى

« وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا »(٧)

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشير إلى أداة العلم وإلى الكتاب.

ولقد كان مقتضى ذلك كله أن لا يكون في موضوع كتابة السنة أي إشكال، بل كان من المنتظر أن تدون السنة المطهرة في زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن كتابتها تتفق مع مبادئ الإسلام الذي جاء يحث على العلم، ويدفع إلى طلبه، ويرغب في سؤال أهل العلم لمعرفة الحق، والدلالة إلى الخير، ولكن كانت هناك أسباب، وكانت حكم وراء عدم كتابة السنة في عصور الإسلام الأولى، يستعرضها هذا البحث.

الكتابة عند العرب :

إن مما لا مراء فيه أن العرب في الجاهلية ـ قبل الإسلام ـ كانوا أميين، أي: لا يعرفون القراءة والكتابة، ولم ينتشر الإسلام إلا وانتشر العلم معه وعرفت أدواته من الكتابة، ومعرفة أصولها، وشاع العلم، وذاع بين صفوف الصغار والكبار.

---

(٥) آية/٧٠/ سورة الحج

(٦) آية/٥٢/ و/٥٣/ سورة القمر

(٧) آية/٢٩/ سورة النبأ.

وهذا الحكم العام على العرب، وأنهم أمة أمية قد أثبته القرآن الكريم في آيات كريمة منه:

- قال الله تعالى

« هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ »(٧)

- وقال سبحانه

« ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ »(٨)

- وقال جل وعز

« وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ »(٩)

(٧) الآية/٢/ من سورة الجمعة.

(٨) الآية/١٥٧/ من سورة الأعراف.

(٩) الاية/٤٨/ من سورة العنكبوت قال الراغب الأصفهاني: والأمي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم) قال قطرب: الأمية: الغفلة والجهالة، فالأمي منه، وذلك هو قلة المعرفة، ومنه قوله تعالى (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني) أي إلا أن يتلى عليه. قال الفراء: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب و (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) قيل: منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك: عامي لكونه على عادة العامة. وقيل: سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب، وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه.. وقيل: سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى. (هـ من مفردات القرآن/٢٣ ـ ٢٤/، وراجع مختصر تفسير ابن كثير ٤٩٧/٣/ وصفوة التفاسير ٣٧٨/٣/.

وقال ابن منظور: والأمي الذي لا يكتب. قال الزجاج: الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعمل الكتاب فهو على جبلته.

قال أبواسحق: معني الأمي المنسوب إلى ماعليه جَبَلَتْه أمه أي لا يكتب فهو فى أنه لا يكتب أمى، لأن الكتابة هي مكتسبة، فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي ما ولدته أمه عليه.

وفي الحديث «إنا أمة أمية...» أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتاب والحساب فهم على جبلتهم الأولى.

وفي الحديث : «بعثت إلى أمة أمية» قيل للعرب الأميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة، ومنه قوله (بعث في الأميين رسولاً منهم).

والأمي: العيي الجلف، الجافي القليل الكلام. قيل له أمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام، وعجمة اللسان.

وقيل لسيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره، ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها، ونقص، فحفظه الله عز وجل ـ على نبيه كما أنزله، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم بها ففي ذلك أنزل الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) الذين كفروا وقالوا إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب. لسان العرب ١/١٠٥/

قال الزمخشري: نسب الأمي إلى أمة العرب حين كانوا لا يحسنون الخط، ويخط غيرهم من سائر الأمم، ثم بقي الاسم، وان استفادوه بعد. وقيل: نسب إلى الأم، أي هو كما ولدته أمه. الفائق ح ١/٥٦/

وقال ابن الأثير «إنا أمة أمية» أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى. وقيل: الأمي الذي لا يكتب.

قال: قيل للعرب الأميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة. النهاية ١/٦٨/ وجامع الأصول ٦/٢٨١/

وقال الفخر الرازي: الأمي منسوب إلى أمة العرب لما أنهم أمة أميون لا كتاب لهم ولا يقرءون كتابا ولا يكتبون.

وقال ابن عباس: يريد الذين ليس لهم كتاب ولا نبي بعث فيهم.

وقيل الأميون: الذين هم على ما خلقوا عليه ـ وقد مر بيانه. التفسير الكبير ج /٣٠/٣/

وقال: وكان هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً أمياً مثل الأمة التي بعث فيهم، وكانت البشارة به فى الكتب التي تقدمت بأنه النبي الأمي، وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة، فكانت حاله مشاكلة لحال الأمة الذين بعث فيهم وذلك أقرب إلى صدقه. التفسير الكبير ج ٣٠/٣/

وقال: قال الزجاج: معنى الأمي الذي هو على صفة أمة العرب، قال عليه الصلاة والسلام «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» فالعرب أكثرهم ماكانوا يكتبون ولا يقرأون، والنبي عليه الصلاة والسلام كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أمياً.

قال أهل التحقيق: وكونه أمياً بهذا التفسير كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه:

الأول : انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل الفاظه، ولا تغيير كلماته، والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها فإنه لابد أن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير، ثم إنه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب وما كان يقرأ يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان، فكان ذلك من المعجزات، وإليه الإشارة بقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى).

والثاني : أنه لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهماً في أنه ربما طالع كتب الأولين، فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم، ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات.

الثالث : أن تعلم الخط شيء سهل فإن أقل الناس ذكاء، وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعي، فعدم تعلمه يدل على

نقصان عظيم في الفهم، ثم إنه تعالى آتاه علوم الأولين والآخرين، وأعطاه من العلوم، والحقائق مالم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارياً مجرى الجمع بين الضدين، وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات. التفسير الكبير ح ١٥/٢٣/

وقال الشهيد سيد قطب: وهكذا يتتبع القرآن الكريم مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها، فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاش بينهم فترة طويلة من حياته لا يقرأ ولا يكتب ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذي يعجز القارئين الكاتبين، وربما كانت تكون لهم شبهة لو أنه كان من قبل قارئاً كاتباً فما شبهتهم وهذا ماضيه بينهم؟.

ونقول: إنه يتتبع مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها فحتى على فرض أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قارئاً كاتباً ماجازلهم أن يرتابوا، فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر، فهو أكبر جداً من كافة البشر، ومعرفة البشر، وأفاق البشر، والحق الذي فيه ذو طبيعة مطلقة كالحق الذى فى هذا الكون. فى ظلال القرآن ٥/٢٧٤٦/

وقال ابن جرير: نسبت العرب من لا يكتب، ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه. مختصر ابن كثير ٨١/١/ ـ أي لأنه بقي أصل ولادتها له دون تعلم كما بينه العلماء.

ويظهر من هذه النقول التي نقلتها عن كتب اللغة، والغريب، والتفسير أن الأمية تطلق على عدم المعرفة بالقراءة والكتابة إما نسبة إلى أمة العرب لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة، وإما نسبة إلى الأم لأن المولود حين تلده أمه لا يحسن القراءة ولا الكتابة. وهذا الإطلاق أو ذاك لا علاقة له بما يطلقه اليهود من لفظ «جوييم» أو الأممي في لغة العرب فما قاله سيد قطب «وربما سموا كما كان اليهود يقولون عن غيرهم من الأمم أنهم جوييم باللغة العبرية أي أمميون نسبة إلى الأمم بوصفهم شعب الله المختار، وغيرهم هم الأمم، والنسبة في العربية إلى المفرد «أمة»: أميون، وربما كان هذا أقرب بالنسبة إلى موضوع السورة ـ أي سورة الجمعة. في ظلال القرآن ح ٦/٣٥٦٤/ أقول ما ذهب إليه ورجحه، وضعف أقوال العلماء بقوله «قيل» ضعيف لأسباب.

أولها: أن أفضل ما يفسر به القران هو القران، وقد قال الله تعالى (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون) فلو كان المراد بالأميين الأممين لما صلح ذلك في هذه الآية لأن المقصود «من أهل الكتاب أميون، فكيف يمكن أن يكون من شعب الله المختار أميون؟! ولذلك قال ابن كثير رحمه الله: والأميون جمع أمي، وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة وهو ظاهر من قوله تعالى (لا يعلمون الكتاب) أي لا يدرون ما فيه، ولهذا جاء فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم. أنه الأمي لأنه لم يكن يحسن الكتابة. مختصر تفسير ابن كثير ١/١٨/.

ثانيها: أنه بالسنة النبوية أيضاً يمكن أن نفهم ألفاظ القرآن الكريم فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما يقول: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» فهو وصف الأمة بعدم الكتابة، وعدم معرفة الحساب كبيان لمعنى الأمية، فيكون معناها عدم معرفة الكتابة.

ثالثها: أننا إذا قلنا أن مراد الله تعالى بالأميين هو كما كان اليهود يقولون عن غيرهم من الأمم أنهم أمميون «فكأننا أنزلنا كتاب الله تعالى على عرف اليهود واطلاقهم، وهذا لا يصح البتة، لأنه يلزم من ذلك اقرارهم على هذا الإطلاق، وأن اليهود هم شعب الله المختار وبقية الناس من الأمم التى لا شأن لها في

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اثبات هلال رمضان «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا» يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين(١٠).

ومن هذه النصوص يتبين أن الأمة العربية كانت أمية، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ محمد بن عبدالله أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وعلل ذلك بأنه لو كان على معرفة بالقـــراءة والكتابـــة

إذاً(١١) لألقى الكفرة شكوكاً حول رسالته، وحول كونه نبياً بأنه يتلقى هذه المعلومات والشرائع في قراءته من كتب أهل الكتاب السابقين الذين لقيهم أو اجتمع بهم (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً)(١٢).

الدنيا والآخرة، وظاهر القرآن، وتعاليم الإسلام تأبى ذلك كل الإباء.

لهذا كله نرى أنه لا وجه مطلقاً في هذه الآيات الكريمة الا ما ذكره العلماء بأن الأمي هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة، والله أعلم وأحكم.

(١٠) الحديث رواه الامام البخاري: كتاب الصوم باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا نكتب ولا نحسب» ٢٣٠/٢/ عن ابن عمر، ورواه الامام مسلم في الصوم باب وجود رمضان لرؤية الهلال رقم (١٠٨٠) عن ابن عمر ٧٦١/٢/

(١١) أبدى بعض الزملاء الفضلاء ملاحظة حول «إثبات «إذا» في هذا الموضع جواباً لـ «لو» واعتبر ذلك من ضعيف اللغة، وأن الفصيح حذف «إذاً» بينا هي من الفصيح، فقد وردت في كتاب الله العزيز في سبع آيات ثلاث منها مع لو وهي:

١ ـ (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً) آية /٤٢/ العنكبوت.

٢ ـ (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً) آية/١٠٠/ من سورة الإسراء.

٣ ـ (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً) آية (٦٦ و ٦٧) من سورة النساء. وأربع آيات من غير لو وهي:

١ ـ (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً) آية (٧٣) من سورة النساء.

٢ ـ (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) آية /٩١/ من سورة المطففون.

٣ ـ (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ـ إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات ثم لا تجدلك علينا نصيراً) آية (٧٤ و ٧٥) من الاسراء

٤ ـ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتـاب المبطلـون) آية (٤٨) من العنكبوت فبعد هذه الآيات الكريمة لا يجوز أن يقال «لايجوز إيراد إذاً في جواب الشرط».

(١٢) الآية (٥) من سورة الفرقان. وقد يكون لقائل أن يقول: إن هذه الآية منافية لجواب الشرط الذى ورد قبلها، فإن

ومع ذلك كله لا يمكن أن يقال: إن الأمة العربية لم يكن فيها إنسان يعرف القراءة والكتابة وذلك لا ينفي عن الأمة كونها أمية، لأن الحكم للأغلب، والأكثر، وقال ابن منظور: «وكانت الكتابة في العرب في أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة، وأخذها أهل الحيرة من أهل الأنبار»(١٣).

ومما يدل على معرفتهم بالقراءة والكتابة أن القصائد التي كانت تنال رضاهم، وتحوز استحسانهم كانوا يعلقونها على جدار الكعبة مكتوبة في صحيفة، وذلك ليقرأها الناس، وليعرفوا أنها المختارة التي تميزت عن غيرها، وأطلق عليها اسم «المعلقات».(١٤).

ومن ذلك خبر الصحيفة التي كان فيها بيان مقاطعة قريش لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبني هاشم في شعبهم، وقد علقت هذه الصحيفة في جوف الكعبة(١٥).

وقد ورد في قصة الحديبية أن سهيل بن عمرو جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه

= الكفار قد ألقوا الشكوك بالفعل، وأقول: صحيح أن الكفار قد قالوا ذلك، ولكنهم هم أنفسهم لم يكونوا واثقين من قولهم هذا، بل كانوا واثقين من خلافه، ولم يوردوه إلا على سبيل الاحتمالات التي يريدون رد البعثة المحمدية بها، وعدم قبولها، ولهذا قال تعالى بعد أن أورد أقوالهم (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) آية (٩) من سورة الفرقان.

وقد قال الامام ابن كثير عند قوله تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها...) الآية كلاماً أسجله لنفاسته ودقته في هذا الموضع قال: وهذا الكلام لسخافته، وكذبه كل أحد يعلم بطلانه، فإنه قد علم بالتواتر أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن عانى شيئاً من الكتابة لا في أول عمره، ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحواً من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه ونزاهته، وبره وأمانته، حتى إنهم كانوا يسمونه في صغره وإلى أن بعث «الأمين» لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الاقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا فيما يقذفونه به، فتارة من إفكهم يقولون ساحر وتارة يقولون: شاعر وتارة يقولون مجنون، وتارة يقولون كذاب.. مختصر ابن كثير ٢/٦٢٤/

(١٣) لسان العرب١/١٠٥/.

(١٤) وذلك على القول بأن «المعلقات» أخذت اسمها من تعليقها على جدار الكعبة، وفي قول لأنها علقت بالأذهان، والأول أقرب إلى الصواب انظر: العمدة لابن رشيق ٦١/١ (مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٠٧م) والعقد الفريد لابن عبدربه ٣/٩٨/ (المطبعة الأزهرية ـ القاهرة (١٣٢ هـ) ومقدمة ابن خلدون/٥٨١/ (طبعة التجارية) وخزانة الأدب للبغدادي ١/٨٩/ (طبعة دار العصور ـ القاهرة)

(١٥) انظر سيرة ابن هشام ٢/٣/ قال: اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه. على بني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً.... وامتاع الأسماع/٢٥ ـ ٢٦/

وسلم ـ يكلمه في الصلح، قال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً»[١٦] وقد كان، وهذا يدل على أن العرب كانت معتادة في كتابة العهود، والمواثيق فيما بينهم عند الاختلاف، وطلب الوفاق حتى تلتزم كل قبيلة بالمكتوب بينهم، ولهذا طلبوا الكتاب، والتزموا بما فيه إلى أمد.

وقد ورد في وصف ورقة بن نوفل: «وكان يكتب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية، وكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب»[١٧].

هذا بين العرب دون إسلام، وقبل أن يشع نوره بينهم، فقد كان بينهم أناس يكتبون، ويقرؤون، بل يحق للإنسان اعتماداً على عادة المجتمعات الإنسانية إذا كان هناك أمر متعارف عليه فيما بينهم أن يخصصوا له أفراداً يتقنونه، فيحق للباحث أن يجزم ـ اعتماداً على ذلك ـ أن كل عشيرة من عشائر العرب، وكل قبيلة من قبائلهم لابد أن يكون لها كاتب يكتب لها ما تريد كتابته، إذ قد اعتادوا الكتابة فى العهود والمواثيق[١٨]. وبخاصة قبيلة قريش التي كانت محيطة ببيت الله محط أنظار العرب كافة.

وأما بعد الإسلام، فقد أنزلت الآيات الأولى من القرآن الكريم تمن على الإنسان تعليمه بالقلم. قال سبحانه (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم)[١٩] وقد كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتبة يكتبون الوحي، فكلما نزل عليه شيء من القرآن ينادي أحد كتبة الوحي ليكتب ما أنزل عليه من آيات القرآن العظيم[٢٠] وقد كان منهم الخلفاء الراشدون ـ

---

(١٦) انظر صحيح البخاري: كتاب الصلح، وكتاب الشروط ١٦٧/٣/و١٦٨/و١٧٨/و١٨١/ وانظر في كتابة العهد: صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية الأحاديث رقم (١٧٨٣ ـ ١٧٨٤) ١٤٠٩/٣ ـ ١٤١١/ والمغازي للواقدي ٦١٠/٢/.

(١٧) رواه البخاري في «بدء الوحي» في أوله وقال ابن حجر في فتح الباري: «ولمسلم «فكان يكتب الكتاب العربي» قال: والجميع صحيح لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية، فكان يكتب الكتاب العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي لتمكنه من الكتابين واللسانين. فتح الباري ٢٨/١/

(١٨) ولعل مما يشير إلى ذلك أن الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ كانوا من كتبة الوحي وهم لم يتعلموا الكتابة في الإسلام، وإنما تعلموها قبل ذلك، وأبوبكر تيمي، وعمر عدوي وعثمان أموي، وعلي هاشمي، وكلهم قرشيون.

(١٩) آية (٣ و ٤) من سورة القلم.

(٢٠) ذكر الحافظ العراقي «اثنين وأربعين كاتباً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التراتيب الادارية للكتاني ١١٦/١/، وأوصلهم البرهان الحلبي في حواشي الشفا إلى ثلاثة وأربعين» المرجع السابق ١١٧/١/ وقد ذكر الامام ابن عبدالبر في الاستيعاب ثلاثا وعشرين كاتباً فقط. ١٣٤/١/.

رضي الله عنهم أجمعين، وقد بلغ كتبة الوحي في آخر العهد المدني زهاء أربعين كاتباً[٢١].

وهناك إشارات تاريخية تشير إلى أن عدد كتبة الوحي من مكة المكرمة أكثر من الكتبة من أهل المدينة، وذلك لمكانة مكة بين العرب، ولهذا رأينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل من أسرى بدر أن يفدي أحدهم نفسه بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة[٢٢].

كما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عبدالله بن سعيد بن العاص أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة وكان يحسن الكتابة[٢٣].

وعن الشفاء بنت عبدالله أنها قالت:
دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا عند حفصة - رضي الله عنها - فقال لي: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة»[٢٤].

وهذا دليل على أن الكتابة وتعلمها لم تقتصر على رجال المسلمين وذكورهم، بل تعداهم

---

(٢١) قال عثمان - رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشي يَدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، مسند الإمام أحمد ٥٧/١/و/٦٩/ وهذا الحديث جامع أما الأحاديث الواردة عن حوادث معينة فهي كثيرة حيث كان ينزل شيء من القرآن فيقول لأحد الكتبة اكتب ومن ذلك. مسند أحمد ١٩/٥/ عن زيد بن ثابت

(٢٢) تنظر كتب السيرة النبوية عند ذكر غزوة بدر. قال في أمتاع الأسماع: وكان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة، وكان منهم [أي من الأسرى] من لا مال له، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة، ويخلى سبيله فيومئذ تعلم زيد بن ثابت [رضي الله عنه] الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار. وقال عامر الشعبي: كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده عَلَّم عشرة من المسلمين. فكان زيد بن ثابت ممن عَلّمَ. امتاع الأسماع ١٠١/١/
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار والكتابة، قال فجاء يوماً غلام يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي. قال: الخبيث يطلب بذحل - أي بثأر - بدر، والله لا تأتيه أبداً. مسند أحمد ٢٤٧/١/

(٢٣) الاستيعاب لابن عبدالبر رقم (١٥٥٦) ٢٢٦/٦/

(٢٤) النملة: قروح تخرج في الجنب. والحديث أخرجه أبوداود بإسناد حسن كتاب الطب باب ما جاء في الرقى رقم (٣٨٨٧) وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤٢٨/١٤/ في ترجمة «الشفاء بنت عبدالله بن عبدشمس».

إلى الإناث أيضاً، أي كان المجتمع الإسلامي كله يحاول أن يتعلم القراءة والكتابة، ويقضي على الأمية في صفوف أبنائه.

وبهذا انتشرت بين العرب المسلمين الكتابة، وغدا الكثير منهم كاتباً قارئاً، ولهذا كثر كتبة الوحي في العهد المدني عنهم في العهد المكي، وإن كان أكثرهم من المكيين، كما أن السير تحدثنا عن بعض الصحابة الذين كان لهم مصحف خاص كتبه لنفسه مما يوضح شيوع الكتابة عند العرب المسلمين.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه كان للعرب قواعد خاصة بالكتابة يتبعونها، وقد تختلف قبائلهم فيها مما يدل على قدم معرفتهم الكتابة، ولهذا لما ألفت اللجنة لنسخ القرآن الكريم، أمرهم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أن يتبعوا القواعد الإملائية التي كانت تسير عليها الكتابة في قريش دون غيرها من القبائل.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن عثمان دعا زيد بن ثابت، وعبدالله ابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فأمرهم أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم. ففعلوا»[٢٥].

بل إن الأمر تجاوز تعلم الكتابة بالعربية إلى تعلم لغات الأقوام المجاورة التي بينهم وبين المسلمين تعامل، وخطابات.

فعن زيد بن ثابت أنه لما قدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة قال زيد: ذهب بي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاعجب بي فقالوا: يارسول الله. هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: يازيد. تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي. قال زيد: فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمسة عشرة ليلة حتى حذفته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب[٢٦].

---

(٢٥) رواه الإمام البخاري في المناقب باب نزل القرآن بلسان قريش ١٥٦/٤/ وكتاب فضائل القرآن باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب ٩٧/٦/

(٢٦) مسند الإمام أحمد ١٨٦/٥/

السنة والقرآن بالنسبة للكتابة :

مما لاشك فيه عند مسلم يعرف شيئاً عن الإسلام، وكتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن القرآن الكريم المنزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. لم ينزل من عند الله مكتوباً في صحف، أو مسجلاً على رقاع، وإنما كان ينزل بحسب الحوادث، والمناسبات، أو ينزل ابتداء دون مناسبة تستدعي ذلك بين الفترة والأخرى، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يكلف أفراداً من الصحابة لكتابة ما ينزل من الوحي، فكان الصحابة الذين يكتبون الوحي لا يتجاوزون ثلاثة عشر رجلا قبل الهجرة، ولما توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان عدد الصحابة الذين يكتبون الوحي لا يتجاوزون أربعين رجلاً إلا بواحد أو اثنين.

ويقطع المسلم أن القرآن الكريم كان مكتوباً بكامله دون نقص، أو تحريف أو تبديل فيه، أو زيادة عما جاء به الوحي الأمين، فقد كان يكتب إثر نزوله مباشرة، وبين يدي النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا لم ينقطع الوحي من الأرض، وينتهي التشريع الإسلامي بانتقال رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ من الأرض إلا والكتاب الكريم محفوظ في الصدور، مكتوب في الصحف والرقاع والسعف، والحجارة.. لا ينقصه إلا أن تجمع تلك الكتب بعضها إلى بعض في مصحف واحد[٢٧]، وهذا ما كان في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه.

أما السنة النبوية ، فلم تنل هذا الاهتمام الذي لاقاه كتاب الله الكريم، فلم يكن لها كتبة مخصوصون، كما لم يتوافر الصحابة الكرام على كتابتها، وتدوينها في حياة الرسول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أنها أصل مكين من أصول الشريعة الإسلامية، إليها يرجع المسلم، ويتخذها قدوة له في كل فعل يريد القيام به، فلماذا لم تلق السنة ـ وهذا شأنها ـ ذلك الاهتمام الذي لاقاه القرآن الكريم؟!

(٢٧) ولقد كان الصحابة يجمعون القرآن فى الرقاع في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولعل ذلك كان جمعاً لآيات السورة الواحدة بعضها إلى بعض، فعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا نحن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: طوبى للشام. قيل: ولم ذلك. يارسول الله؟ قال: إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه. مسند أحمد ٥/١٨٥/

ولعل ذلك كان كذلك لأسباب منها:

ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد عاش بين الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم مدة طويلة من الزمن تمتد ثلاثاً وعشرين سنة من عمر الدعوة، فكانت السنة تتمثل وخلال هذه الفترة كلها بكل كلمة نطق بها رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مع زوجه، أو مع أحد من المؤمنين، أو مع الكافرين، في شؤون الدعوة، أو في غيرها، كما يتمثل ذلك في أفعاله التي كان يقوم بها، أنى مضى، وحيث سار، وكتابة مثل هذا كله من العسر بمكان إذ يحتاج إلى تفرغ كامل لأناس من الأصحاب يعرفون الكتابة ملازمين له في حله، وترحاله، وتنقله بين القبائل والعشائر، والمساكن، والرقاع بين أيديهم، والأقلام بين أناملهم يسجلون ما يرون وما يسمعون، وقد كان ذلك خلال الفترة المكية من حياة الدعوة متعذرا لقلة عدد الكتبة الذين كانوا يقومون بكتابة الوحي المصدر التشريعي الرئيسي، والمعجزة الباقية على الزمان مما يجعل الواجب الملقى على عاتقهم هو الاستمرار في القيام بعملهم دون أن يشغلوا بشيء آخر من كتابة السنة، أو غير ذلك، حتى يوصلوا كتاب الله تعالى إلى من بعدهم تاماً دون نقص أو تحريف، ولأن المسلمين في تلك الفترة كانوا يستخفون بدينهم، ولا يجرؤ أحد منهم على الظهور.

وكانت كتابة السنة النبوية متعذرة في النصف الأول من حياة المدينة للسبب الأول وهو قلة الكتبة، ولسبب آخر هو كثرة الحروب والغزوات، والسرايا التي كان يمضي إليها الصحابة الكرام ليؤدوا واجبهم في حماية الدعوة من أعدائها، وتذليل السبيل أمام دعاتها.

ـ وشيء آخر أن العرب لأميتهم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم، وحدها فيما يودون حفظه واستظهاره، فالتوفر على حفظ القرآن مع نزوله منجماً على آيات وسور صغيرة ميسور لهم، وداعية إلى استذكاره، والاحتفاظ به في صدورهم فلو دونت السنة كما دون القرآن وهي واسعة كثيرة النواحي الشاملة للأعمال والأقوال طيلة حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للزم إكبابهم على حفظ السنة مع حفظ القرآن، وفيه من الحرج ما فيه، وبخاصة للصحابة الذين لا يتصفون بقوة الحافظة، والمقدرة العالية لحفظ الكثير، فلا يكلف إلا بحفظ القرآن الكريم وحده أو بما يستطيع منه، ولا تشتت ذاكرته بين حفظ القرآن والسنة، وأما ذو الحافظة القوية الذي يستطيع حفظ الكثير فهو الذي حفظ القرآن وحفظ السنة معتمداً على حافظته ونقلها إلى من بعده.

ـ وأخيرا الخوف من اختلاط بعض أقوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموجزة الحكيمة بالقرآن سهواً من غير عمد، وذلك خطر على كتاب الله يفتح باب الشك فيه لأعداء الإسلام مما يتخدونه ثغرة ينفذون منها إلى المسلمين لحملهم على التحلل من أحكامه والتفلت من سلطانه(٢٨).

كما يفتح ذلك باب الاختلاف بين المسلمين: هل هذا من القرآن أم ليس منـه؟ وقد يسبب ذلك النزاع والخصام في كتاب الله ـ عز وجل ـ وذلك ما عصم الله تعالى الأمة منه، وحفظ كتابه العزيز، والحمد لله فلهذا كله كانت السنة النبوية متروكة لحافظة الصحابة الصافية التي حفظتها حفظاً تاماً، وأدتها إلى من بعدها على أكمل وجه، وأتم صورة.

هل كتب من السنة شيء ؟

لعل أول ما يتبادر إلى الذهن من الاسئلة في موضوع كتابة السنة في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ السؤال الذي صدر به هذا الكلام، فهل كان في ذلك الزمن أحد من الصحابة يكتب شيئاً غير القرآن الكريم في حضرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم؟ وهل كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يملي على أحد أن يكتب شيئاً غير كتاب الله تعالى؟

إن الباحث عن جواب لهذا السؤال يجد أن هناك الكثير من الكتب كتبت في عهد النبوة، ولعل أول كتاب كتب غير كتاب الله تعالى، وبأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو ذلك العهد الذي كان بين المسلمين من المهاجرين، والأنصار، وسكان المدينة المنورة من اليهود وغيرهم، الذي ينص على التعاون، والنصرة فيما بين جميع الأفراد، وعدم الاعتداء، وكان في هذه الصحيفة أحكام جليلة للتنظيم الاجتماعي الذي يجب أن يكون بين المؤمنين في كل زمان وفوق كل مكان يوجدون فيه وأوله: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي ـ رسول الله ـ [صلى الله عليه وسلم] ـ بين المؤمنين والمسلمين من قريش، ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم: أنهم أمة واحدة من دون الناس(٢٩).

---

(٢٨) انظر السنة ومكانتها في التشريع /٥٨ ـ ٥٩/

(٢٩) سيرة ابن هشام ١٠٦/٢ ـ ١٠٨/ وانظر الأموال للقاسم بن سلام /١٠٢/ ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي/١٥/ ومسند أحمد ٢٠٤/٢/

وهي وثيقة تاريخية هامة في حياة الأمة الإسلامية.

- وكذلك كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليهود خيبر:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] صاحب موسى ، وأخيه، والمصدق لما جاء به موسى. ألا إن الله قد قال لكم: يامعشر أهل التوراة...(٣٠)

- ومن ذلك الكتاب الذي كتب في صلح الحديبية ، والذي فيه :

«باسمك اللهم. هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو.

اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن القتال على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه(٣١)

- وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرسل رسله وعماله إلى بعض المناطق التي يريد نشر الدعوة فيها، ومعهم بعض الأحكام مكتوبة في صحيفة لتقرأ على القوم الذي يذهب إليهم الرسول، أو العامل، ومن ذلك:

- جاء في حديث ضمام بن ثعلبة عن ابن عباس: أتتنا كتبك وأتتنا رسلك(٣٢)

- ما رواه عبدالله بن عكيم قال: أتانا كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل موته ألا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب(٣٣)

---

(٣٠) سيرة ابن هشام ١٣٨/٢/ وامتاع الأسماع ٤٩/١/

(٣١) حديث الكتابة في غزوة الحديبية رواه البخاري ومسلم ورواه أحمد ٣٤٢/١/ مختصراً عن ابن عباس وسيرة ابن هشام ١٣٨/٢/.

(٣٢) رواه الطبراني ذكر في فتح الباري ١٦١/١/ - وسيرة ابن هشام ١٨٣/٤/

(٣٣) الحديث أخرجه البخاري في التاريخ. وأبوداود: كتاب اللباس باب روي ألا ينتفع بإهاب الميتة رقم (٤١٢٧) و (٤١٢٨) والترمذي في اللباس باب ماجاء في جلود الميتة إذا دبغت رقم (١٧٢٩) ورواه النسائي في الفرع والعتيرة باب ما يدبغ به جلود الميتة بثلاث طرق ١٥٥/٧/ ورواه ابن ماجه في اللباس باب من قال: لا ينتفع من الميتة بإهاب ولا عصب رقم (٣٦١٣) ح ١١٩٤/٢/

وقد اختلف العلماء في التوفيق بين هذا الحديث، وحديث ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بشاة ميتة، فقال: هلا استمتعتم بجلدها؟ قالوا: يارسول الله. إنها ميتة، فقال: إنما حرم أكلها» أخرجه البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجه والدارمي، فمنهم من رجح أحد الحديثين على الآخر، ومنهم من جمع، أورد ذلك الإمام ابن حجر في فتح الباري ثم قال: وأقوى من ذلك: الجمع بين الحديثين بحمل الإهاب على الجلد قبل =

ومن جملة ما كتب: خطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام فتح مكة(٣٤)، فقد روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: إن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فركب راحلته، فخطب، فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل(٣٤) وسلط عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنون، وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنها أحلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها، ولا يعضد شجرها، ولا تلتقط ساقطتها الا لمنشد، فمن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يعقل، وإما أن يقاد أهل القتيل. فجاء رجل من أهل اليمن ـ هو أبوشاه ـ فقال: اكتب لي يارسول الله. فقال: اكتبوا لأبي شاه. ولاشك أن الصحابة قد سارعوا بكتابة هذه الخطبة لأبي شاه، لأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك، وذهبت الكتابة مع أبي شاه إلى اليمن.

ومما كتب في زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبأمره الكتب التي أرسلت إلى ملوك البلاد المجاورة وأمراء المناطق يدعوهم فيها إلى الإسلام ـ قال أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب قبل مؤتة إلى كسرى، وقيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الإسلام(٣٥)

وقد ذكرت هذه الكتب في كتب الحديث والسير(٣٦) حيث حوت ما ينبغي ذكره في الدعوة إلى الله تعالى.

= الدباغ، وأنه بعد الدباغ لا يسمى إهابا إنما يسمى قربة وغير ذلك، وقد نقل ذلك عن ائمة اللغة كالنضر بن شميل، وهذه طريقة ابن شاهين وابن عبدالبر والبيهقي. فتح الباري ٤٧/١ ـ ٤٨/.

(٣٤) رواه الإمام البخاري: كتاب العلم باب كتابة العلم ٣٦/١/ وكتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ٩٥/٣/ وكتاب الديات باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ٣٨/٧/ ورواه الإمام مسلم: كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها رقم (١٣٥٥) ٩٨٨/٢/ ورواه الترمذي: كتاب العلم باب في الرخصة في كتابة العلم رقم (٢٨٠٥) مختصراً ح ١٤٦/٤/ وقال حسن صحيح، ورواه أبو داود: كتاب العلم باب كتابة العلم رقم (٣٦٤٩) ٦٢/٤/

(٣٤) وفي بعض نسخ البخاري: «القتل أو الفيل» قال أبوعبدالله: كذا قال أبونعيم، وغيره يقول «الفيل» قال ابن حجر: أي بالفاء ولايشك فتح الباري ٢١٦/١/.

(٣٥) الحديث رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير باب كتب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ملوك الكفار يدعوهم الى الله عز وجل ـ رقم (١٧٧٤)

(٣٦) سيرة ابن هشام ١٨٨/٤/ وقال: بعث إلى قيصر، وكسرى، والنجاشي والمقوقس، وإلى جيفر، وعياد ابنى الجلندي =

ومما كتب في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «الصحيفة الصادقة» التي كانت عند عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ فقد ورد عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: ما من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.(٣٧)

وقد ذكر عبدالله بن عمرو ذلك حيث قال :
«كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟!

فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. فأومأ بأصبعه إلى فيه، وقال:
«اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»(٣٨)

= الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة، وبعث العلاء الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الأسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام. قال ابن هشام: بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن. سيرة ابن هشام. ١٨٨/٤/

وقد ذكر الامام ابن سعد في طبقاته كتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الملوك والأمراء، واستغرقت صفحات عديدة من ٢٥٨/١ ـ ٢٩١/ ذكر فيها العديد من الكتب الى النجاشي، وقيصر وكسرى، والمقوقس وغيرهم من أمراء البلاد في الأرض العربية، وأرض اليمن، وأساقفة نجران ورهبانهم، وللقبائل المتعددة الموجودة في الجزيرة العربية أو قرب بلاد الشام والعراق، وقد كان يتبادل مع بعضهم الكتب والرسائل، يبين لهم شيئاً من أمور الإسلام وأحكامه، ويقرهم على بلادهم التي بأيديهم.

(٣٧) رواه البخاري: كتاب العلم باب كتابة العلم ٣٦/١/ ورواه الترمذي: كتاب العلم: باب الرخصة في كتابة العلم، وقال: حسن صحيح رقم (٢٨٠٦) ١٤٦/٤/. ورواه الدارمي: المقدمة باب من رخص في كتابة العلم ١٢٥/١/ ورواه الإمام أحمد المسند ٢٤٨/٢/ وابن سعد في الطبقات ٨/٢/٤/.

(٣٨) رواه الدارمي: المقدمة باب من رخص في كتابة العلم ١٢٥/١/ ونحوه ١٢٦/١/ ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم بطرق كثيرة /٧٤ ـ ٨٣/ ورواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٧١/١/، ورواه الحاكم في المستدرك ١٠٤/١/ وقال: صحيح، ثم قال: هذا أصل في نسخ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يخرجاه، وأخرجه بلفظ «قالت لي قريش: تكتب...» وبلفظ : كنت أكتب.. وقال: على شرط مسلم ١٠٥/١/ =

وهذا يؤكد كتابة عبدالله للسنة النبوية في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» أن هذه الصحيفة تضم ألف حديث»[٣٩]

ويعتقد أن حفيد عبدالله بن عمرو، وهو «عمرو بن شعيب» كان يروي من هذه الصحيفة التي كانت عند جده[٤٠]. وكل ما يرويه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله أخذه من هذه الصحيفة، وقد يكون عبدالله قد اعتمد في رواية الحديث على هذه الصحيفة أيضا، فيكون كل ما رواه منها. وإذا كانت الصحيفة نفسها لم تصل إلينا، فإن مرويات عبدالله بن عمرو بلغت في مسند الإمام أحمد، والصحيحين، والسنن الأربعة ستين ومئتين وألف (١٢٦٠) حديث بما في ذلك المكرر[٤١] ولاشك أن ما نقل عنه ليس كل ما حفظه، فقد روي عنه أنه قال: حفظت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألف مثل».

وعن جابر بن عبدالله قال :

كتب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كل بطن عقوله، ثم كتب أنه لا يحل لمسلم أن يتوالى مولى رجل مسلم بغير إذنه، ثم أخبرت أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك»[٤٢]

وهذا الحديث يدل على أن هذه الصحيفة وزعت على بطون القبائل.

ويذكر عن العداء بن خالد قال: كتب لي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

«هذا ما اشترى محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من العداء بن خالد بيع المسلم المسلم لاداء، ولا خبثة ولا غائلة»[٤٣]

هذه صورة عن كتابة شيء من السنة في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتضح منها أن كثيراً من السنة النبوية كتب في ذلك العهد، وأن الكتابة للسنة كان أمراً عادياً لا غبار فيه.

وأخرجه أبوداود: كتاب العلم: باب كتابة العلم رقم (٣٦٤٦) ٤/٦٠/ وأخرجه الامام أحمد في المسند ٢/١٩٢/و/٢٠٧/و/٢١٥/و/٤٠٣/و/١٦٢/

(٣٩) أسد الغابة ٣/٢٣٣/

(٤٠) تهذيب التهذيب ٨/٤٨ ـ ٤٩/

(٤١) مسند عبدالله بن عمرو في مسند أحمد: الأجزاء (٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) تحقيق أحمد شاكر وفيه (٦٢٧) حديثاً فقط.

(٤٢) رواه مسلم في العتق باب تحريم تولي العتيق غير مواليه رقم (١٥٠٧) ٢/١١٤٦/.

(٤٣) رواه البخاري تعليقاً في كتاب البيوع باب إذا بين البيعان ولم يكتما ٣/١٠/

وبعد هذا انتقل الى ايراد الأحاديث المنقولة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مسألة التدوين، ثم أذكر ما ورد من أخبار عن التدوين الفعلي زمن الصحابة.

التدوين في السنة :

١ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»(٤٤)

٢ ـ وعن أبي سعيد ـ أيضاً ـ قال:
«استأذنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نكتب ما سمعنا ـ فلم يأذن لنا»(٤٥)

٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً من الأنصار كان يشهد حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، فلا يحفظه، فيسأل أبا هريرة، فيحدثه، ثم شكا قلة حفظه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له:
«استعن على حفظك بيمينك»(٤٦)

٤ ـ عن رافع بن خديج أنه قال: قلت يارسول الله ـ فنكتبها؟ قال: اكتبوا ولا حرج»(٤٧)

٥ ـ عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم
«قيدوا العلم بالكتاب»(٤٨)

---

(٤٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٠٠١)، وأحمد في مسنده ١/١٧١/ وجامع بيان العلم ١/٦٣/ وابن حبان رقم (٦٣) ورواه الحاكم ١/١٢٦ ـ ١٢٧/ ورواه أحمد أيضاً ٣/١٢/و/٢١/و/٣٩

(٤٥) رواه ابن عدي في مقدمة الكامل /٤٧/ والترمذي في العلم رقم (٢٨٠٣) والدارمي ١/١١٩/ وتقييد العلم/٣٣/ قال الترمذي: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن زيد بن أسلم، ورواه همام عن زيد بن أسلم ٤/١٤٥/.

(٤٦) تقييد العلم/٦٥ ـ ٦٦/ ـ مقدمة الكامل /٤٩/ ورواه الترمذي في العلم رقم (٢٨٠٤) وفي سنده الخليل بن مرة قال البخاري: منكر الحديث، وقال الترمذي: هذا حديث اسناده ليس بذاك القائم ٤/١٤٦/ ورواه البزار بسند فيه «الخصيب بن جحدر وهو كذاب مجمع الزوائد ١/١٥١/

(٤٧) تقييد العلم /٧٢ ـ ٧٣/ مقدمة الكامل لابن عدي /٤٨/

(٤٨) جامع بيان العلم ١/٧٢/ وسيأتي أنه روي موقوفا

٦ ـ عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال لمعاوية ـ رضي الله عنه : ـ «إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه»[٤٩]

٧ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال:
«لما اشتد بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» فاختلفوا وكثر اللغط ، فقال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع»[٥٠]

٨ ـ عن عبدالله بن عمرو: قال: قلت: يارسول الله. إني أحب أن أعي حديثك ولا يعيه قلبي. فأستعين بيميني؟! قال إن شئت[٥١]

٩ ـ وعنه قال: قلت: يارسول الله . أقيد العلم؟ قال: نعم[٥٢]

١٠ ـ قال معاذ بن جبل : خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن نكتب شيئاً من الحديث، فقال ماهذا يامعاذ؟! قال: قلنا: ما سمعناه منك يارسول الله. قال: يكفيكم هذا القرآن عما سواه. فما كتب شيئاً بعد[٥٣]

١١ ـ وعن عبدالله بن عمرو قال: قلت: يارسول الله. إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال: بلى فاكتبوها»[٥٤]

١٢ ـ عن أبي هريرة قال: كنا قعوداً نكتب مانسمع من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرج علينا فقال: ماهذا؟ تكتبون! فقلنا: مانسمع منك. فقال: أكتاب مع كتاب الله؟! فقلنا:

---

(٤٩) جامع بيان العلم وفضله /٧٩/ ونحوه عند أحمد في المسند /١٨٢/٥/

(٥٠) رواه الإمام البخاري في صحيحه في العلم باب كتابة العلم ٣٧/١/ وفي الجهاد باب اخراج اليهود ٦٦/٤/ وابن سعد. الطبقات ٢٤٢/٢ ـ ٢٤٥/ والإمام أحمد بألفاظ عديدة ٢٩٣/١/و٣٢٤/ ـ ٣٢٥/و٢٤٨/و٢٣٦/ و٢٢٤/ و٢٢٢/ و٢٥٥/.

(٥١) لأبي بكر (ابن أبي شيبة) المطالب العالية ١١٠/٢/ قال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة بسند حسن إتحاف المهرة ٢٩/١/

(٥٢) لأحمد بن منيع ـ المطالب العالية ١١٠/٢/ قال المحقق: سكت عليه البوصيري، وقال الهيثمي: فيه عبدالله بن المؤمل وثقه ابن معين وابن حبان وابن سعد. وقال أحمد: أحاديثه مناكير. هامش المطالب العالية ١١٠/٢

(٥٣) رواه اسحاق بن راهويه وفيه انقطاع. أي أن ابراهيم النخعي لم يسمع من معاذ. المطالب العالية ١٠٨/٢/

(٥٤) رواه أحمد ٢١٥/٢/

ما نسمع. فقال: اكتبوا كتاب الله ـ أمحضوا كتاب الله. أكتاب غير كتاب الله؟! أمحضوا كتاب الله ـ أو خلصوه ـ قال: فجمعنا ماكتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار. قلنا: أي رسول الله. أنتحدث عنك؟ قال: نعم. تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. قال: فقلنا: يارسول الله. أنتحدث عن بني اسرائيل؟ قال: نعم تحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه(٥٥)

هذه أحاديث رويت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تدوين السنة سواء منها ما أباح، أو ما منع، وأما بالنسبة للواقع العملي في كتابة السنة، فقد مر ذكر ما كتب في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم.

وقد تبين أنه لم يكن بين الصحابة أحد معروف بالكتابة لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ وقد أذن له بالكتابة، وقد يكون هناك من الصحابة من كان يكتب لنفسه، ولم يعرف والله أعلم.

وأما أحاديث النهي فالصحيح منها هو حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه. الذي رواه مسلم في صحيحه، وقد ذهب العلماء إلى آراء مختلفة في التوفيق بين حديث النهي، وأحاديث الإباحة، فذهب الأكثر إلى أن حديث أبي سعيد منسوخ بالأحاديث الأخرى التي أباحت.

وإني أرى ـ مع من يرى من العلماء ـ أن نهي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كتابة الحديث كان نهياً خاصاً بكتابة الحديث مع القرآن في وقت واحد، وعلى رقعة واحدة، وذلك كيلا يختلط الحديث بالقرآن، وخصوصاً في أول عهد الإسلام حيث كان الصحابة لم يأخذوا على عبارات القرآن والفاظه، وتراكيبه ويشهد لهذا الرأي حديث أبي هريرة الذي فيه: «امحضوا كتاب الله».

وقد ملت إلى هذا الرأي لأن حديث النهي لم يكن معروفاً ، ولا شائعاً بين الصحابة، ولهذا وجدنا في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أنهم عندما نهوه استندوا في النهي إلى بشرية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يستدلوا بنهيه عن الكتابة، والله أعلم وأحكم.

---

(٥٥) رواه أحمد عن أبي هريرة في مسند أبي سعيد ١٢/٣ ـ ١٣/

ومن الممكن أن يكون النهي خاصاً بصغار الصحابة الذين يخشى منهم أن يمزجوا بين القرآن والسنة كأبي سعيد، والأذن لمن ظن فيه أنه لا يقع منه ذلك كعبدالله بن عمرو[56].

(٥٦) أنقل هنا أقوال بعض العلماء في هذا الموضوع:
ـ قال أبوحاتم (محمد بن حبَّان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي الدارمي البستي):
زجره ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكتبة عنه سوى القرآن، أراد به الحث على حفظ السنن دون الاتكال على كتبتها، وترك حفظها، والتفقه فيها، والدليل على صحة هذا إباحته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي شاه كتب الخطبة التي سمعها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. وإذنه ـ صلى الله عليه وسلم. لعبدالله بن عمرو بالكتابة. صحيح ابن حبان ٢٢٢/١/ط شاكر وقال الإمام البغوي:
«والنهي يشبه أن يكون متقدماً، ثم أباحه ، وأذن فيه.
وقد قيل: إنما نهي عن كتبة القرآن والحديث في صحيفة واحدة لئلا يختلط غير القرآن بالقرآن، فيشتبه على القارئ، فأما أن يكون نفس الكتاب محظوراً فلا يدل عليه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم. قال: «بلغوا عني» وفي الأمر بالتبليغ إباحة الكتبة، والتقييد. لأن النسيان من طبع أكثر البشر، ومن اعتمد على حفظه لا يؤمن عليه الغلط ، فترك التقييد يؤدي إلى سقوط أكثر الحديث، وتعذر التبليغ، وحرمان آخر الأمة عن معظم العلم. شرح السنة ٢٩٤/١ ـ ٢٩٥/
وقال الإمام ابن تيمية: إن الناس على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يكتبون القرآن، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن وقال «من كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه» ثم نسخ ذلك عند جمهور العلماء حيث أذن في الكتابة لعبدالله بن عمرو، وقال: اكتبوا لأبي شاه، وكتب لعمرو بن حزم كتاباً، قالوا: وكان النهي أولا خوفاً من اشتباه القرآن بغيره، ثم أذن لما أمن ذلك، فكان الناس يكتبون من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يكتبون، وكتبوا أيضا غيره. الفتاوى ٣٢١/٢٠ ـ ٣٢٢/
وقال الامام ابن حجر:
ويستفاد منه (أي حديث أبي هريرة المتقدم عن كتابة عبدالله بن عمرو للسنة) ومن حديث على المتقدم، ومن قصة أبي شاه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أذن في كتابة الحديث عنه: وهو يعارض حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن» رواه مسلم.
والجمع بينهما أن النهي خاص بكتابة غير القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك، أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد، والإذن في تفريقها. أو النهي متقدم، والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس، وهو أقربها مع أنه لا ينافيها
وقيل: النهي خاص بمن خشي من الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والإذن لمن أمن منه ذلك.
ومنهم من أعل حديث أبي سعيد وقال: الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره.
قال العلماء: كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث، واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً كما أخذوا حفظاً، لكن لما قصرت الهمم، وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه، وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المئة بأمر عمر بن عبدالعزيز، ثم كثر التدوين ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير، فلله الحمد. فتح الباري ٢١٨/١/

تدوين الحديث زمن الصحابة :

لقد شعر الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ بعد انتقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الرفيق الأعلى ـ سبحانه وتعالى ـ أن السنة النبوية تحتاج إلى تدوين لأنها الأصل الثاني الذي يعتمده المسلم في حياته لتكون مرضية عند الله ـ عز وجل.

ـ ورد أن الخليفة الأول أبابكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه كتب صحيفة فيها خمسمائة حديث، ثم بات قلقاً فلما أصبح محاها(٥٧).

= وقال: السلف اختلفوا في ذلك ـ [في كتابة العلم] ـ عملاً وتركاً، وإن كان الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم.

فتح الباري ٢١٤/١/.

وقال الامام النووي :

واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي، فقيل: هو في حق من يوثق بحفظه، ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، ويحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث «اكتبوا لأبي شاه»وحديث صحيفة علي ـ رضي الله عنه ـ وحديث كتاب عمرو بن حزم الذي فيه الفرائض والسنن والديات وحديث كتاب الصدقة، ونصب الزكاة الذي بعث به أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ أنساً ـ رضي الله عنه ـ حين وجهه إلى البحرين، وحديث أبي هريرة أن عبدالله بن عمرو بن العاص كان يكتب ولا أكتب» وغير ذلك من الأحاديث.

وقيل: إن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن في الكتابة.

وقيل: إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشتبه على القارىء، والله أعلم.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣٠/١٨/ وكذا تدريب الراوي ٦٧/٢/.

وقال الإمام العيني:

وقال عياض: إنما كره من كره من السلف من الصحابة والتابعين كتابة العلم فى المصحف، وتدوين السنن: لأحاديث رويت منها....

ولئلا يكتب مع القرآن شيء .

ـ وخوف الاتكال على الكتابة .

ثم جاء أحاديث بالإذن في ذلك... قال: وأجازه معظم الصحابة والتابعين، ووقع الاتفاق، ودعت إليه الضرورة لانتشار الطرق، وطول الأسانيد، واشتباه المقالات، مع قلة الحفظ ، وكلال الفهم.

عمدة القاري ١٦٧/٢/

وقال الخطيب البغدادي:

فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه» تقييد العلم/٥٧/.

(٥٧) أورده في كنز العمال رقم (٢٩٤٦٠) ـ قال: الحافظ عماد الدين بن كثير في مسند الصديق، قال الحاكم أبوعبدالله =

ولو صح هذا الخبر لكانت هذه الصحيفة هي أول صحيفة كتبت بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعهد قريب، والحفظ متين، ولكنها لم تصح.

ثم إن عمر بن الخطاب ـ الخليفة الثاني ـ رضي الله عنه ـ عزم على كتابة السنة، واستشار فيها الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ لما في ذلك من الفائدة المرجوة بإذن الله تعالى، تعود على الأمة كلها، فأشار عليه الجميع بكتابتها، ولكنه رغم ذلك بات يقلب الأمور ويستخير الله تعالى في ذلك، ثم استقر أمره بعد شهر وقد عزم الله له، فقال: إني كنت ذكرت لكم من كتاب السنن بما قد علمتم ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع

= النيسابوري: حدثنا بكر بن محمد الصريفيني بمرو، حدثنا موسى بن حماد، ثنا المفضل بن غسان، ثنا علي بن صالح، حدثنا موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن، عن إبراهيم بن عمرو بن عبيدالله التيمي، حدثنا القاسم بن محمد قال: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ

جمع أبي الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيراً، قالت: فغمني، فقلت: تتقلب لشكوى، أو لشيء بلغك؟! فلما أصبح، قال: أي بنية. هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار، فأحرقها، وقال: خشيت أن أموت، وهي عندك، فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته، ووثقت به، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد تقلدت ذلك.

وقد رواه القاضي أبو أمية الأحوص بن المفضل بن غسان الغلابي عن أبيه، عن علي بن صالح، عن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن إبراهيم بن عمر بن عبيدالله التيمي، حدثني القاسم بن محمد، أو ابنه عبدالرحمن ابن القاسم ـ شك موسى فيهما ـ قال: قالت عائشة: «فذكره، وزاد بعد قوله: فأكون تقلدت ذلك، ويكون قد بقي حديث لم أجده، فيقال: لو كان قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما غبى [أي خفي] على أبي بكر، إني حدثتكم الحديث، ولا أدري لعلي لم أتتبعه حرفاً حرفاً.

قال ابن كثير: هذا غريب من هذا الوجه جداً، وعلي بن صالح لا يعرف، والأحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثر من هذا المقدار بألوف ولعله إنما اتفق له جمع تلك فقط، ثم رأى ما رأى لما ذكرت. ا هـ

قال الإمام جلال الدين السيوطي ـ رحمه الله تعالى

أو لعله جمع ما فاته سماعه من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحدثه عنه بعض الصحابة كحديث الجدة، ونحوه، والظاهر أن ذلك لا يزيد على هذا المقدار لأنه كان أحفظ الصحابة، وعنده من الأحاديث مالم يكن عند أحد منهم كحديث «ما دفن نبي إلا حيث يقبض» ثم خشي أن يكون الذي حدثه وهم، فكره تقلد ذلك، وذلك صريح كلامه. انتهى من كنز العمال ١٠/٢٨٥ ـ ٢٨٦/

وقد ذكر الإمام الذهبي القصة في تذكرة الحفاظ، ثم قال في آخرها. «فهذا لا يصح». ١/٥/.

هذا ويلاحظ أن الإمام السيوطي لم يتعرض لسند الحديث، ولم يرد ما قاله الإمام ابن كثير عن «علي بن صالح»، وإنما ذهب لتأويل ماورد، وهو تأويل مقبول لو صح السند، إلى السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وإلى الصديق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه، إلا أن الحديث لم يثبت فلا يحتاج إلى تأويل، والله أعلم.

كتاب الله كتباً فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً. فترك كتاب السنن[٥٨].

تبين مما سبق أمور:

١ ـ أن بعض السنة دون في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعلمه أو بأمره.

٢ ـ عدم كتابة السنة النبوية في عصر النبوة كان لأسباب منها:
ـ قلة العارفين بالكتابة
ـ خوف اختلاط السنة بالقرآن.

٣ ـ اعتماد الصحابة، وكبار التابعين على حفظ السنة لصفاء حافظتهم وقوتها.

ثم إن الصحابة ـ رضي الله عنه ـ أرادوا كتابة الحديث، ومنعهم من ذلك خشية هجر كتاب الله تعالى، والانكباب على السنة النبوية.

هذا، وسأنقل هنا الخلاف في الكتابة بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقد قال النووي: اختلف السلف في كتابة الحديث، فكرهها طائفة، وأباحها طائفة، ثم أجمعوا على جوازها. قال البلقيني: وفي المسألة مذهب ثالث: ـ حكاه الرامهرمزي ـ وهو: الكتابة والمحو بعد الحفظ[٥٩].

قلت: وهناك مذهب رابع وهو كتابة الأطراف للحفظ. والله أعلم. وسأصنفهم تحت صنفين: من لم ير الكتابة، ومن أجاز كتابة الحديث أو كتبه من الصحابة ومن بعدهم. والله الموفق.

---

(٥٨) جامع بيان العلم ٧٧/١/ ـ وتدريب الراوي عن البيهقي في المدخل ٦٧/٢/ وعن مالك قال: إن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أراد أن يكتب هذه الأحاديث، أو كتبها ثم قال: لا كتاب مع كتاب الله. جامع بيان العلم. ٧٨/١/
وعن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها ثم كتب إلى الأمصار: من كان عنده شيء فليمحه. جامع بيان العلم ٧٩/١.

(٥٩) تدريب الراوي ٦٥/٢/

من لم ير كتابة الحديث من الصحابة ومن بعدهم :

لقد كان لبعض الصحابة موقف شديد من كتابة الحديث، لا يجيزونه ولا يسمحون به، ويأمرون من فعله أن يمحوه، ومن أولئك:

- عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقد سبق ذكر ذلك عنه.
- علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ(٦٠)
- وعبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ(٦١)
- وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ(٦٢)
- وعبدالله بن عباس(٦٣).
- وعبدالله بن عمر(٦٤).

(٦٠) عن جابر بن عبدالله بن يسار، قال: سمعت علياً يخطب يقول: أعزم على من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه، فإنما هلك الناس حيث تبعوا أحاديث علمائهم، وتركوا كتاب ربهم. جامع بيان العلم ١/٧٦/.

(٦١) عن سليمان بن الأسود المحاربي قال: كان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يكره كتابة العلم. جامع بيان العلم ١/٧٨. وعن الأسود بن هلال قال: أتى عبدالله بصحيفة فيها حديث، فدعا بماء فمحاها، ثم غسلها، ثم أمر بها فأحرقت، ثم قال: أذكر الله رجلاً يعلمها عند أحد إلا أعلمني به، والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. جامع بيان العلم ١/٧٩/ ونحوه في سنن الدارمي وأوضح أن «دير هند» مكان بعيد بالكوفة ١/١٢٤/ ورواه الدارمي عن الاشعث عن أبيه وكان من أصحاب عبدالله أطول مما هو هنا، ورواه مختصراً عن إبراهيم التيمي ١/١٢٣/. ورواه ابن عبدالبر مطولاً عن الأسود. جامع بيان العلم ١/٨٣/.

(٦٢) عن الشعبي أن مروان دعا زيد بن ثابت، وقوماً يكتبون، وهو لا يدري، فأعلموه، فقال: أتدرون! لعل كل شيء حدثتكم به ليس كما حدثتكم. جامع بيان العلم ١/٧٩/

وعن ابن سيرين عن زيد بن ثابت قال: أرادني مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة أن أكتبه شيئاً قال: فلم أفعل، قال: فجعل ستراً بين مجلسه وبين بقية داره، قال: وكان أصحابه يدخلون عليه ويتحدثون في ذلك الموضع، فأقبل مروان على أصحابه، فقال: ما أرانا إلا قد خناه، ثم أقبل علي، قال: ما أرانا إلا قد خناك، قال: قلت: وماذاك؟ قال: إنا أمرنا رجلاً يقعد خلف هذا الستر، فيكتب ما تفتي هؤلاء وما تقول. الدارمي ١/١٢٢ ـ ١٢٣/

(٦٣) عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان ينهى عن كتابة العلم، وقال: إنما ضل من كان قبلكم بالكتب. جامع بيان العلم /٨٢/ ورجال اسناده ثقات.

وقال ابن عباس : انا لا نكتُب العلم ولا نُكتِبه. جامع بيان العلم /٨١/ عن عبدالرزاق

(٦٤) عن سعيد بن جبير قال: كنا نختلف في أشياء، فنكتبها في كتاب، ثم أتيت بها ابن عمر أسأله عنها خفياً، فلو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه، جامع بيان العلم /٨٣/ قلت: ورجال اسناده أعلام ثقات.

• وأبو هريرة[٦٥].
• وأبو موسى الأشعري[٦٦].
• وأبو سعيد الخدري[٦٧] ـ رضي الله عنهم أجمعين.

وقد سار كثير من التابعين، وأتباعهم على كراهية الكتابة، ومنهم:
• علقمة بن قيس (٦٢) هـ[٦٨].
• ومسروق بن الأجدع (٦٣) هـ[٦٩]
• وعبيدة بن عمرو السلماني (٧٢) هـ[٧٠]

---

(٦٥) عن أبي كثير قال: سمعت أبا هريرة يقول: «لا نكتب ولا نُكتب» جامع بيان العلم /٨٣/ وسنن الدارمي /١٢٢/١.

(٦٦) عن أبي بردة أنه كان يكتب حديث أبيه، فرآه أبو موسى فمحاه. الدارمي ١٢٢/١ وعن أبي بردة قال: كتبت عن أبي كتباً كثيرة، فقال: ائتني بكتبك، فأتيته بها فغسلها، جامع بيان العلم /٨١/ وزاد: وقال: احفظوا عنا كما حفظنا. /٨٣/ ونحوه في المطالب العالية وقد أخرجه ابن أبي شيبة وزاد قال: عِ عني ما سمعت مني، فإني لم أكتب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتاباً، وقال: كدت أن تهلك أباك.
قال البوصيري: رجاله ثقات . وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوايد ٣٥١/١/. المطالب العالية ١٠٨/٢/.

(٦٧) عن أبي نضرة قال: قيل لأبي سعيد: لو اكتتبتنا الحديث؟! فقال: لا نكتبكم. خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ جامع بيان العلم /٧٩/ ونحوه مقدمة الكامل /٤٦/
وعن أبي نضرة قال: قلت لأبي سعيد:ألا نكتب ما نسمع منك؟ قال: أتريدون أن تجعلوها مصاحف؟ إن نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يحدثنا فنحفظ ، فاحفظوا كما كنا نحفظ . جامع بيان العلم /٨٠/ والدارمي ١٢٢/١/ والمطالب العالية ١٢٠/٢/.

(٦٨) قال السيوطي : (فكرهها ـ أي الكتابة ـ طائفة) منهم ابن عمر، وابن مسعود، وزيدا بن ثابت، وأبوموسى، وأبوسعيد الخدري، وأبوهريرة وابن عباس، وآخرون. تدريب الراوي ٦٥/٢/

(٦٩) قال مسروق لعلقمة: اكتب لي النظائر. قال: أما علمت أن الكتاب يكره؟ قال: بلى إنما أريد أن أحفظها ثم أحرقها. جامع بيان العلم /٨٤/ فمسروق ممن يرى الكتابة للحفظ ـ

(٧٠) قال ابن سيرين لعبيدة: أكتب ما أسمع منك؟ قال: لا. قال: وإن وجدت كتاباً أقرؤه عليك قال: لا. الدارمي ١٢٢/١ وجامع بيان العلم ٨٤ وعن أبي يزيد المرادى قال: لما حضر عبيدة الموت دعا بكتبه فمحاها، فقيل له في ذلك مقال: أخشى أن يليها قوم يضعونها غير مواضعها. جامع بيان العلم /٨٤/ وبلفظ يضعونها مواضعها». الدارمي ١٢١/١/ وعن ابراهيم قال: كنت أكتب عند عبيدة، فقال: لا تخلدن عني كتاباً. جامع بيان العلم /٨٤/ والدارمي ١٢١/١ فعبيدة كانت عنده كتب، ولكنه خشي أن توضع كتبه في غير مواضعها فمحاها.

- وإبراهيم النخعي (٩٥) هـ[٧١].
- ومجاهد بن جبر (١٠٣) هـ[٧٢].
- والشعبي : عامر بن شراحيل (١٩ ـ ١٠٣) هـ[٧٣].
- والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (١٠٦) هـ[٧٤].
- ومحمد بن سيرين (١١٠) هـ[٧٥].
- وقتادة بن دعامة السدوسي (١١٨) هـ[٧٦].
- ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٠ ـ ١٢٤) هـ[٧٧] .

---

(٧١) عن منصور: إن إبراهيم كان يكره الكتاب ـ يعني للعلم ـ الدارمي ١٢٠/١
وعن ابن عون قال: رأيت حماداً يكتب عن إبراهيم، فقال له إبراهيم: ألم أنهك؟ قال: إنما هي أطراف. الدارمي ١٢٠/١ فهما ممن كان يرى كتابة الأطراف ليتذكر الأحاديث بها.
وعن إبراهيم أنه كان يكره أن يكتب الحديث في الكراريس، ويقول: يشبه بالمصاحف. الدارمي ١٢١/١ وجامع بيان العلم /٨٤/
وعن منصور قال: قلت لإبراهيم: إن سالماً أتم حديثاً منك؟ قال: إن سالماً كان يكتب. الدارمي ١٢٣/١/
وقال إبراهيم: لا تكتبوا فتتكلوا. جامع بيان العلم /٨٦/ والمطالب العالية ١٠٨/٢/

(٧٢) كان مجاهد يكره أن يكتب العلم في الكراريس. الدارمي ١٢١/١

(٧٣) عن الشعبي قال: ما كتبت سوداء في بيضاء قط ، ولا استعدت حديثاً من إنسان مرتين، وزاد في رواية «ولقد نسيت من الأحاديث، ما لو حفظها إنسان كان بها عالماً» جامع بيان العلم /٨٥/ وتذكرة الحفاظ ٨٤/١/ والدارمي ١٢٥/١.

(٧٤) عن ابن عون قال: إن القاسم كان لا يكتب الحديث. جامع بيان العلم /٨٥/

(٧٥) قال ابن عون: قال ابن سيرين: لا والله ما كتبت حديثاً قط . الدارمي ١٢٢/١/
وقال ابن سيرين: لو كنت متخذاًكتاباً لاتخذت رسائل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدارمي ١٢٠/١. وعن يونس قال: كان الحسن يكتب ويُكتب، وكان ابن سيرين لا يُكتب ولا يَكتب الدارمي ١٢١/١. وعن هشام بن حسان قال: ما كتبت حديثاً قط إلا حديثاً واحداً، أملى علي ابن سيرين، فقال: إذا حفظته فامحه. مقدمة الكامل /٤٧/ فابن سيرين كان ممن يجيز الكتابة للحفظ .

(٧٦) عن الأوزاعي قال: كان قتادة يكره الكتابة، فإذا سمع وقع الكتاب أنكره، والتمسه بيده. الدارمي ١٢٠/١/

(٧٧) قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ : لم يكن مع ابن شهاب كتاب الا كتاب فيه نسب قومه جامع بيان العلم /٨٠/ والاسناد ليس به بأس. قال: ولم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون فمن كتب منهم الشيء، فإنما كان يكتب ليحفظه، فإذا حفظه محاه. السابق /٨٠/ وقال مالك بن أنس: جاء الزهري بحديث فلقيته في بعض الطريق فأخذت بلجامه، فقلت: يا أبابكر. أعد علي الحديث الذي حدثتناه. قال: وتستعيد الحديث؟! قلت: وما كنت تستعيد الحديث؟ قال: لا. قلت: ولا تكتب؟ قال: لا. الدارمي ١٢٠/١/ ورجال إسناده أعلام.

- ومنصور بن المعتمر (١٣٢) هـ[٧٨]
- ومغيرة بن مقسم (١٣٤) هـ[٧٨].
- ويحيى بن سعيد الأنصاري (١٤٣) هـ[٧٩].
- والأعمش : سليمان بن مهران (١٤٨) هـ[٧٩].
- عن عبدالله بن عون المزني (١٥١) هـ[٨٠].
- وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي (٨٨ ـ ١٥٧) هـ[٨١].
- سعيد بن عبدالعزيز التنوخي الدمشقي (١٦٧) هـ[٨٢].

وغير هؤلاء

قال أبو عمر بن عبدالبر ـ بعد ما ذكر أقوال من كره كتابة الحديث والعلم: ـ «من كره كتابة العلم إنما كرهه لوجهين:

ـ أحدهما: لا يتخذ مع القرآن كتاباً يضاهي به.

ـ ولئلا يتكل الكاتب على ما كتب فلا يحفظ ، فيقل الحفظ[٨٣].

---

(٧٨) قال جرير بن عبدالحميد: منصور، ومغيرة، والأعمش كانوا يكرهون كتاب الحديث. جامع بيان العلم /٨٥/

(٧٩) عن يحيى بن سعيد قال: أدركت الناس يهابون الكتب حتى كان الآن حديثاً، قال: ولو كنا نكتب لكتبت من علم سعيد وروايته كثيراً. جامع بيان العلم /٨٦/.

(٨٠) قال ابن عون: والله ما كتبت حديثاً قط . الدارمي ١/١٢٢/

(٨١) عن أبي المغيرة قال: كان الأوزاعي يكرهه ـ أي كتاب العلم ـ . الدارمي ١/١٢٠/
وعن الأوزاعي قال: مازال هذا العلم عزيزاً يتلقاه الرجال، حتى وقع في الصحف بحمله ودخل فيه غير أهله. الدارمي ١٢١/١ وبلفظ : «كان هذا العلم شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه، ويتذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله» جامع بيان العلم /٨٦/.

(٨٢) عن سعيد بن عبدالعزيز قال: ما كتبت حديثاً قط . الدارمي ١٢١/١

(٨٣) جامع بيان العلم /٨٦/ ثم قال: من ذكرنا قوله في هذا الباب، فإنما ذهب في ذلك مذهب العرب لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك، والذين كرهوا الكتاب كابن عباس، والشعبي وابن شهاب، والنخعي، وقتادة، ومن ذهب مذهبهم، وجبل جبلتهم كانوا قد طبعوا على الحفظ ، فكان أحدهم يجتزئ بالسمعة، ألا ترى ماجاء عن ابن شهاب أنه كان يقول: إني لأمر بالبقيع فأسد أذني مخافة أن يدخلها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط ، فنسيته.
وجاء عن الشعبي نحوه، وهؤلاء كلهم عرب، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:
«نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» وهذا مشهور أن العرب قد خصت بالحفظ ، كان بعضهم يحفظ أشعار بعض =

من أجاز كتابة الحديث أو كتبه من الصحابة ومن بعدهم:

وقد كتب بعض الصحابة شيئاً من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أجازوا الكتابة، ومن أولئك:

- أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ[(٨٤)]
- وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ[(٨٥)]
- وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ[(٨٦)]

= في سمعة واحدة، وقد جاء أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أمن آل نعم أنت غاد فمبكر...) في سمعة واحدة على ما ذكروا، وليس أحد اليوم على هذا، ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم. جامع بيان العلم /٨٨/

(٨٤) عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سئلها من المسلمين على وجهها، فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعط .... الحديث رواه الإمام البخاري في الزكاة باب العرض في الزكاة، وباب لا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع. ١٢٢/٢/ وباب ما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية ١٢٣/٢/ وباب من بلغت عنده صدقة بنت مخاض، وليست عنده ١٢٣/٢/ وباب زكاة الغنم ١٢٣/٢ ـ ١٢٤/

(٨٥) عن عمر بن الخطاب قال: قيدوا العلم بالكتاب. شرح السنة للبغوي ٢٩٤/١/

قال الحاكم: وقد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب أنه قال: قيدوا العلم بالكتاب. المستدرك ١٠٦/١/ وجامع بيان العلم /٩١/

وواضح هنا أن عمر إنما خشي من كتابة السنة أن يترك المسلمون كتاب الله تعالى أما كتابة العلم للحفظ والتثبت، فقد أمر به، كما أن ما ورد عنه سابقاً إنما هو عزمه على الكتابة، ثم تركه لذلك، فلا منافاة بين إيراده بين المجيزين والممتنعين. والله أعلم.

(٨٦) عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قيدوا العلم بالكتاب» المستدرك ١٠٦/١/

وعن أبي جحيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله؟. قال: لا. والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة الا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟! قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر. أخرجها البخاري في العلم باب كتابة العلم ٣٦/١/ وبلفظ: فإذا فيها: المدينة حرم... البخاري في فضائل المدينة، باب حرم المدينة ٢٢١/٢/ وعند مسلم بلفظ: فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات، وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ: «والمدينة حرم ما بين.... الحديث رقم (١٣٧٠) ٩٩٤/٢/ و ١١٤٦/٢/

وفي رواية: فيها «لعن الله من ذبح لغير الله... الحديث رقم (١٩٧٨) ١٥٦٧/٣/

وفي رواية: فإذا فيها «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى منهم أدناهم» رواه النسائي.

وفي رواية: «فيها فرائض الصدقة» رواها أحمد. =

• وأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ[87]
• وسعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ[88]
• وعبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ[88]
• وسمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ[89]
• وجابر بن عبدالله ـ رضي الله عنها ـ[90]

= قال الإمام ابن حجر: والجمع بين هذه الروايات أن الصحيفة كانت واحدة، كان جميع ذلك مكتوباً فيها، فنقل كل واحد من الرواة ما حفظه. فتح الباري ١/٢١٧/ وهذه الروايات عن كتابة علي ـ رضي الله عنه ـ وعن أمره أثبت من الرواية التي وردت في عزمه على من عنده شيء مكتوب أن يمحوه.

(٨٧) عن أنس بن مالك قال: قيدوا العلم بالكتاب» المستدرك ١/١٠٦/ وبلفظ «كان يقول لبنيه: يابني قيدوا هذا العلم. الدارمي ١/١٢٧/ وعن يزيد الرقاشي قال: كنا إذا أكثرنا على أنس في الحديث أتى بمجال له، فألقاها إلينا، فقال: هذه أحاديث سمعتها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتبتها وعرفتها. المطالب العالية عن الحارث بن أبي أسامة ٢/١١٠/ قال البوصيري في اتحاف المهرة: يزيد الرقاشي ضعيف ١/٢٩/. وعن سلم العلوي قال: رأيت أبان يكتب عند أنس في سبورة. الدارمي ١/١٢٧/
وعن أنس قال: حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك أنه عمي، فأرسل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: تعال، فخط لي مسجداً، فجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجاء قومه، ونعت رجل منهم يقال له: مالك بن الدخشم». قالوا: ودوا أنه دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شر، فقضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصلاة، وقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: إنه يقول ذلك، وما هو بقلبه. قال: لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. فيدخل النار، أو تطعمه». قال أنس: فأعجبني هذا الحديث، فقلت لابني: اكتبه، فكتبه. صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي رقم (٣٤) ١/٦١/

(٨٨) كان سعد يملك صحيفة جمع فيها طائفة من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويرى البخاري أن صحيفة سعد كانت نسخة منها في صحيفة عبدالله بن أبي أوفى وكان عبدالله هذا يكتب الأحاديث، وكانوا يقرأون عليه ما جمع بخطه.
وقد روي أنه كتب إلى عمر بن عبيدالله حديث «لا تتمنوا لقاء العدو». صحيح مسلم رقم (١٧٤٢) ٣/١٣٦٢/ وكان سعد بن عبادة يكتب بالعربية. الخلاصة /١٣٤/

(٨٩) كان سمرة بن جندب قد جمع أحاديث في نسخة كبيرة أورثها ابنه سليمان بن سمرة، ورواها عنه، وهي الرسالة التي بعثها إلى بنيه، قال فيها ابن سيرين: في رسالة سمرة علم كثير». تهذيب التهذيب ٤/٢٣٤ ـ ٢٣٧/ وقال: في ترجمة سليمان بن سمرة: روى عن أبيه نسخة كبيرة. ٤/١٩٨/

(٩٠) كان لجابر بن عبدالله صحيفة، وقال الذهبي: له منسك صغير في الحج أخرجه مسلم «تذكرة الحفاظ ١/٤٣/ وكان قتادة السدوسي التابعي يقول: لأنا بصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة ـ وذلك لاهتمامه بها وروايته لها. طبقات ابن سعد وقد كتب سليمان اليشكري صحيفة عن جابر. تهذيب التهذيب ٤/٢١٤/ وكان شعبة يرى أن أحاديث أبي سفيان ـ طلحة بن نافع ـ عن جابر إنما هو كتاب سليمان اليشكرى مقدمة الجرح والتعديل =

● وعبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[٩١]
● وأبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ[٩٢]
● والمغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ[٩٣]

= /١٤٤ ـ ١٤٥/ وكان وهب بن منبه يروي أحاديث جابر من إملائه انظر صحيفة همام بن منبه /١٤/ وقال عبدالله بن محمد بن عقيل: كنت اختلف إلى جابر بن عبدالله أنا ومحمد [ابن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب] وأبوجعفر معنا ألواح نكتب فيها.

تقييد العلم /١٠٤/ وكتب عن جابر: محمد بن مسلم بن تدرس (١٢٨) هـ. تهذيب التهذيب ٤٤٠/٩ ـ ٤٤١/

(٩١) كان ابن عباس يعنى بتدوين الكثير من سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان تلامذته يأخذون عنه أحاديث كثيرة من الكتب والصحف التي عنده، وقد ترك حين وفاته حمل بعير من كتبه، وقد روى عنه ابنه علي بن عبدالله بن عباس كثيراً من الصحف التي تركها له والده. طبقات ابن سعد ٢١٦/٥/ وعن هارون بن عنترة عن أبيه أن ابن عباس أرخص له أن يكتب، جامع بيان العلم /٩٣/ والدارمي ١٢٨/١/ وزاد «ولم يكد» فكأن ابن عباس كان لا يكتب، ولا يرى الكتابة في أول عهده ثم أذن في آخر عمره.

(٩٢) كانت له صحف كثيرة مكتوبة عنده، عن الحسن بن عمرو قال: حدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره، فقلت: إني سمعته منك. قال: إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته، فأراني كتاباً من كتبه من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. فوجد ذلك الحديث، فقال: قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك فهو مكتوب عندي.

الحاكم في المستدرك ١٠٧/١/ وجامع بيان العلم /٩٥/ قال ابن عبدالبر ـ بعد أن أورده: هذا خلاف ما تقدم في أول الباب عن أبي هريرة أنه لم يكتب وأن عبدالله بن عمر وكتب، وحديثه بذلك أصح في النقل من هذا لأنه أثبت اسناداً عند أهل الحديث. قال ابن حجر، ويمكن الجمع بأنه لم يكتب في العهد النبوي ثم كتب بعده. فتح الباري ٢١٧/١/ ثم قال: وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب، فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه. فتح ٢١٨/١/ فعلى قول الامام ابن حجر فلا منافاة بين قول أبي هريرة: إنا لا نكتب ولا نكتب، وبين وجود الحديث مكتوباً عنده، فهو لم يكن يكتب ولا يملي أول حياته ثم أجاز الكتابة بعد ذلك وعن بشير بن نهيك قال: كنت أكتب ما أسمع من أبي هريرة، فلما أردت أن أفارقه أتيته بكتابه فقرأته عليك. وقلت له هذا ما سمعت منك. قال: نعم. الدارمي ١٢٧/١/ وجامع بيان العلم /٩٢/ وفي المطالب العالية عن الحارث بن أبي أسامة ١١٠/٢ ـ ١١١/ وقال البوصيري: بسند حسن ٢٩/٦/

(٩٣) كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية بن أبي سفيان من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال» رواه البخاري في الزكاة باب قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) ١٣١/٢/، وعن وراد كاتب المغيرة بن شعبة قال: أملى علي المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شئ قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» رواه البخاري: كتاب الآذان باب الذكر بعد الصلاة ٢٠٥/١/

• وأبو بكرة ـ رضي الله عنه ـ[٩٤] واسمه: نفيع بن الحارث
• وعبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما[٩٥]
• وعبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما[٩٦]

---

(٩٤) كتب أبو بكرة إلى ابنه ـ وكان بسجستان ـ بأن لا يقضي بين اثنين وهو غضبان فإني سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان. رواه البخاري في الأحكام باب هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان ١٠٨/٨ ـ ١٠٩/

(٩٥) عن ابن عمر أنه قال: قيدوا هذا العلم بالكتاب الدارمي ١٢٨/١/ وليس في رجال اسناده بأس.
قال الإمام ابن حجر: وجدت في كتاب الوصية لأبي القاسم بن منده من طريق البخاري بسند له صحيح إلى أبي عبدالرحمن الحبلي أنه أتى عبدالله بكتاب فيه أحاديث، فقال: انظر في هذا الكتاب، فما عرفت منه اتركه، ومالم تعرفه امحه... فذكر الخبر، قال: وعبدالله يحتمل أن يكون هو ابن عمر بن الخطاب فإن الحبلي سمع منه، ويحتمل أن يكون ابن عمرو بن العاص فإن الحبلي مشهور بالرواية عنه. فتح الباري ١٦٣/١/

(٩٦) مرقول أبي هريرة عن كتابة عبدالله بن عمرو للسنة، وقد أخرجه أحمد والبيهقي في المدخل من طريق عمرو بن شعيب عن مجاهد والمغيرة بن حكيم قالا: سمعنا أباهريرة يقول: ماكان أحد أعلم بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مني الا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده، ويعي بقلبه، وكنت أعي ولا أكتب أستاذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم في الكتابة فأذن له». اسناده حسن. فتح الباري ٢١٨/١/ ورواه الامام أحمد ٢٤٨/٢ ـ ٢٤٩/و٤٠٣/.
وعن عبدالله بن عمرو قال: ما يرغبني في الحياة الا خصلتان: الصادقة والوهط . فأما الصادقة، فصحيفة كتبتها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. وأما الوهط ، فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها. جامع بيان العلم /٩١/ وسنن الدارمي ١٢٧/١/
ـ وعنه قال: قيدوا العلم. قلت: وما تقييده؟ قال: الكتاب. جامع بيان العلم /٩٣/
ـ وعنه قال: قلت: يارسول الله أقيد العلم؟ قال: قيد العلم. قال عطاء: وما تقييد العلم. قال: الكتاب. السابق /٩٣/، وقد أراد التابعي مجاهد بن جبر (٢١ ـ ١٠٤) هـ أن يتناول الصادقة عندما رآها عند عبدالله فقال له: مه ياغلام بني مخزوم. قال مجاهد: قلت: ما كتبت شيئاً. قال: هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس بيني وبينه أحد. طبقات ابن سعد ونحوه في تقييد العلم /٨٤/.
والأكثر أن حفيد ابن عمرو: عمرو بن شعيب كان يحدث في هذه الصحيفة. تهذيب التهذيب ٤٨/٨ ـ ٤٩/
قال: أبوراشد الحبراني: أتيت عبدالله بن عمرو، فقلت له: حدثنا بما سمعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فألقى إلى صحيفة، فقال: هذا ما كتب لي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنظرت فيها، فإذا فيها إن أبابكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ سأل النبي صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يارسول الله. علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: يا أبابكر قل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن اقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم» رواه البخاري في الأدب المفرد،رقم (١٢٠٤) جـ ٦١٢/٢/ ورواه أحمد ١٩٦/٢/ وفي اسناد أحمد محمد بن زياد الإلهاني. وأخرجه أبوداود رقم (٥٠٦٧) ٣١١/٥/ عن أبي هريرة عن أبي بكر وليس فيه ذكر للصحيفة =

- والبراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ[٩٧]
- وواثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ[٩٨] وفاطمة بنت قيس رضي الله عنها[٩٩]
- وأبو أمامة ـ صدي بن عجلان ـ الباهلي ـ رضي الله عنه[١٠٠]
- وعبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ[١٠١]
- وجابر بن سمرة ـ رضي الله عنه[١٠٢]
- وأبي بن كعب ـ رضي الله عنه[١٠٣].

وكذا الترمذي رقم (٣٤٥٢) وقال: حسن صحيح ١٣٤٥/ ونسبه المنذري للنسائي فلعله في الكبير. وكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٩٤٩) جـ ٢/٢٢٣/

(٩٧) عن عبدالله بن حنش قال: رأيتهم يكتبون عند البراء بأطراف القصب على أكفهم. سنن الدارمي ١/١٢٨/

(٩٨) عن أبي الخطاب معروف الخياط قال: رأيت واثلة بن الاسقع يملي على الناس الأحاديث وهم يكتبونها بين يديه. مقدمة الكامل لابن عدي /٤٩/ وذكره في تدريب الراوي نقله عنه راغب الطباخ في حاشيته على مقدمة ابن الصلاح /٢٠٦/ طبع حلب (١٣٥٠ هـ)

(٩٩) عن أبي سلمة قال: كتبت عن فيها ـ يعني فاطمة بنت قيس ـ كتاباً. ذكره في المطالب العالية وقال «لاسحق»، أي ابن راهويه ١/٢٩/

(١٠٠) عن الحسن بن جابر أنه سأل أبا أمامة الباهلي عن كتاب العلم؟ فقال: لا بأس بذلك. الدارمي ١/١٢٧/ وجامع بيان العلم /٩٣/

(١٠١) عن موسى بن عقبة قال: حدثني سالم أبوالنضر ـ مولى عمر بن عبيدالله: كنت كاتباً له قال: كتب إليه عبدالله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية، فقرأته، فإذا فيه: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس، فقال: ياأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم، فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم.
رواه البخاري في الجهاد باب لا تتمنوا لقاء العدو ٢٣/٤ ـ ٢٤/ ورواه مسلم في الجهاد والسير باب كراهية تمني الموت ٣/٣٦٢/ رقم (١٧٤٢)

(١٠٢) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي: أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: فكتب إلي: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم جمعة عشية رجم الاسلمي يقول: لايزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. وسمعته يقول: عصبة المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى، وآل كسرى. وسمعته يقول: إن بين يدي الساعة كذا بين فاحذرهم، وسمعته يقول: إذا أعطى الله تبارك وتعالى للعبد خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته وسمعته يقول: أنا فرطكم على الحوض. رواه احمد ٥/٨٩/

(١٠٣) عن سمرة بن جندب أنه كان إذا صلى بهم سكت سكتتين. إذا افتتح الصلاة وإذا قال: ولا الضالين سكت هنية فأنكر عليه عمران بن الحصين، فكتبوا إلى أبي بن كعب، فكتب إليهم أن الأمر كما صنع سمرة. رواه أحمد ٥/٢٣/ وبلفظ «أن صدق سمرة» ٥/٢٢ و ١٥ و ٢٠/.

ومن جاء بعد هؤلاء ممن أجازوا الكتابة، أو كانوا يكتبون:

- سعيد بن المسيب (٩٤ هـ)(١٠٤)
- وعروة بن الزبير (٩٤ هـ)(١٠٥)
- وسعيد بن جبير (٩٥ هـ)(١٠٦)
- وإبراهيم النخعي (٩٥ هـ)(١٠٧) وسالم بن أبي الجعد (٩٨ هـ)(١٠٧)
- وعمر بن عبدالعزيز (١٠١ هـ)(١٠٨).
- وعامر بن شراحيل الشعبي (١٩ ـ ١٠٣) هـ(١٠٩)
- وأبو قلابة عبدالله بن زيد (١٠٤ هـ)(١١٠)

---

(١٠٤) عن يحيى بن حرملة قال: كنت سيء الحفظ فرخص لي سعيد بن المسيب في الكتاب. جامع بيان العلم /٩٤/

(١٠٥) عن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة، وكان يقول، وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي. جامع بيان العلم /٩٦/

(١٠٦) عن سعيد قال: كنت أسمع من ابن عمر، وابن عباس الحديث بالليل، فأكتبه في واسطة الرحل حتى أصبح، فأكتبه. الدارمي ١٢٨/١/ ونحوه في جامع بيان العلم /٩٢/.

وعنه قال: كنت أجلس إلى ابن عباس، فأكتب الصحيفة حتى تمتلىء. الدارمي ١٢٨/١/.

(١٠٧) عن إبراهيم قال: لا بأس بكتاب الأطراف. جامع بيان العلم /٩٢/. وعن منصور قال: كان إبراهيم يحذف الحديث، فقلت: إن سالم بن أبي الجعد يتم الحديث، قال: إن سالماً كتب، وأنا لم أكتب. جامع بيان العلم /٨٨/ قال ابوعمر بن عبدالبر: فهذا [إبراهيم] النخعي مع كراهيته لكتاب الحديث قد أقر بفضل الكتاب /٨٨/ فإبراهيم كان يرى كتابة الأطراف، ولا يرى كتابة الحديث كله، وبهذا يظهر أنه لا منافاة بين إيراد إبراهيم بين الذين لا يجيزون ومع الذين لا ينكرون فهو لا يجيز الكتابة الا كتابة الأطراف، وفي آخر عمره اعترف بفضل الكتابة.

(١٠٨) عن عون بن عبدالله قال: قلت لعمر بن عبدالعزيز حدثني فلان من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعرفه عمر. قلت: لعمر بن عبدالعزيز حدثني فلان من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الحياء والعفاف، والعي ـ عي اللسان لا عي القلب ـ، والفقه من الإيمان، وهن مما يزدن في الآخرة، وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكثر، وإن البذاء، والجفاء، والشح من النفاق، وهي مما يزدن في الدنيا وينقصن في الآخرة، وما ينقصن في الآخرة أكثر. قال أبوقلابة: خرج علينا عمر بن عبدالعزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس، ثم خرج علينا لصلاة العصر وهو معه، فقلت يا أمير المؤمنين: ما هذا الكتاب؟ قال: حديث حدثني به عون بن عبدالله، فأعجبني، فكتبته. فإذا فيه هذا الحديث ١٢٩/١ ـ ١٣٠/ الدارمي. وسيأتي أمره بالكتابة.

(١٠٩) عن عامر الشعبي قال: الكتاب قيد العلم. جامع بيان العلم /٩٦/ وقال: إذا سمعت شيئاً فاكتبه، ولو في الحائط. عمدة القاري ١٦٧/٢/ فهو لم يكن يكتب ولكنه حث غيره على الكتابة.

(١١٠) عن أبي قلابة قال: الكتاب أحب إلينا من النسيان. جامع بيان العلم /٩٢/ قال حماد: مات أبوقلابة بالشام، فأوصى بكتبه لأيوب السختياني، فجيء بها في عدل راحلة، تذكرة الحفاظ ٩٤/١/.

● ومحمد بن سيرين (١١٠ هـ)(١١١)
● ورجاء بن حيوة (١١٢ هـ)(١١٢)
● ونافع ـ مولى ابن عمر (١١٧ هـ)(١١٣)
● وعطاء بن أبي رباح (١١٤ هـ)(١١٤)
● والحسن بن أبي الحسن البصري (١١٦ هـ)(١١٥).
● ومحمد بن شهاب الزهري (٥٠ ـ ١٢٤) هـ(١١٦).

---

(١١١) عن ابن سيرين قال: كنت ألقى عبيدة بالأطراف فأسأله. جامع بيان العلم /٩٢/ فابن سيرين يرى جواز كتابة الأطراف لا الحديث كله فلا منافاة في إيراده في الفريقين

(١١٢) عن رجاء بن حيوة قال: كتب هشام بن عبدالملك إلى عامله أن يسألني عن حديث. قال رجاء: فكنت قد نسيته لولا أنه كان عندي مكتوباً. الدارمي ١٢٩/١/

(١١٣) عن سليمان بن موسى أنه رأى نافعاً ـ مولى ابن عمر ـ يملي علمه، ويُكتب بين يديه. الدارمي ١٢٩/١/

(١١٤) عن هشام بن الغاز قال: كان يسأل عطاء بن أبي رباح، ويكتب ما يجيب فيه بين يديه. الدارمي ١٢٩/١/

(١١٥) عن الحسن قال: إن لنا كتباً نتعاهدها. جامع بيان العلم /٩٥/و/٩٦/ وكان الحسن لا يرى بكتاب العلم بأساً، وقد كان أملى التفسير، فكتب. جامع بيان العلم /٩٥/ وقد سبق قول يونس: كان الحسن يكتب ويكتب. الدارمي ١٢١/١/

(١١٦) عن عبدالعزيز بن محمد الدراوردي قال: أول من دون العلم، وكتبه ابن شهاب. وعن أبي الزناد قال: كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس. جامع بيان العلم /٩٤/

وعن صالح بن كيسان قال: كنت أنا وابن شهاب ونحن نطلب العلم فاجتمعنا على أن نكتب السنن، فكتبنا كل شيء سمعنا عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال: تعال بنا نكتب ما جاء عن أصحابه، فقلت: لا ليس سنة، وقال هو: بل هو سنة. فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت. جامع بيان العلم /٩٩/.

وقال أبو الزناد: كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما يسمع. تذكرة الحفاظ ١٠٩/١/.

وعن الزهري قال: كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين. جامع بيان العلم /٩٩/.

وقال: استكتبني الملوك فأكتبتهم فاستحييت الله إذ كتبتها للملوك ألا أكتبها لغيرهم. السابق /٩٩/. وعن خالد بن نزار قال: أقام هشام بن عبدالملك كاتبين يكتبان عن الزهري، فأقاما سنة يكتبان عنه. السابق /١٠٠/ شعيب بن أبي حمزة (١٦٣) قال الذهبي عنه: وكان مليح الضبط، أنيق الخط، فكتب للخليفة هشام شيئاً كثيراً بإملاء الزهري عليه. تذكره ٢٢١/١/

عن سعيد أن هشام بن عبدالملك سأل الزهري أن يملي على بعض ولده شيئاً فأملى عليه أربعمائة حديث، وخرج

وكنت قد ذكرت بعد الامام الزهري أئمة كثر ممن كانوا يرون الكتابة، ولكني أرى أن لاداعي لذكرهم لأن الإمام الزهري يعتبر بداية لتدوين العلم، فبعده قد انتشرت الكتب، وكثر التدوين في كل أصقاع العالم الإسلامي، ولم يعد لانكار التدوين كبير أثر في طلبة العلم(١١٧). والله أعلم.

ونخلص مما ذكرت :

١ ـ أنه كان لكثير من الصحابة والتابعين صحف يسجل فيها ما يحفظه، من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ أن الذين كانوا يكرهون كتابة السنة لم يكونوا يكرهونها لذات الكتابة، وإنما لأمور أخرى مثل : الحث على الحفظ ، أو خشية ترك ، كتاب الله تعالى.

٣ ـ أن تدوين السنة كان يمشي جنباً إلى جنب مع الحفظ في الصدور.

الزهري، فقال: أين أنتم يا أصحاب الحديث؟! فحدثهم بتلك الأربعمائة، ثم لقي هشاماً بعد شهر أو نحوه، فقال للزهري: إن ذلك الكتاب ضاع، فدعا بكاتب، فأملاها عليه، ثم قابل بالكتاب الأول، فما غادر حرفاً واحداً. تذكرة الحفاظ ـ ١١٠/١/

قال عبدالرزاق: سمعت معمراً يقول: كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه من علم الزهري. السابق ١١٢/١/ والظاهر من هذه الروايات أن ابن شهاب كان يكتب لنفسه عندما كان طالب علم ثم أملى مما حفظه على أهل الحديث بعد أن طلب منه الخلفاء أن يملي على أبنائهم، أو أن يكتب لهم، وكأني به كان يكتب ليحفظ أول طلبه ثم يمحو ما كتب بعد الحفظ ، فقد روي عن قرة بن حيؤيل، قال: لم يكن للزهري كتاب الا كتاب في نسب قومه. وقال مالك:

هلك ابن المسيب فلم يترك كتاباً هو، ولا القاسم، ولا عروة، ولا ابن شهاب، فقلت لابن شهاب، وأنا أريد أن أخصمه: ماكنت تكتب؟ قال: لا. قلت: ولا تسأل إن تظاهر عليك الحديث؟ قال: لا.

وقال الزهري: ما استعدت حديثاً قط ، وما شككت في حديث إلا حديثاً واحداً، فسألت صاحبي، فإذا هو كما حفظت. تذكرة الحفاظ ١١١/١/

والذين رووا أنه كان يكتب هم زملاء الطلب مثل أبي الزناد: عبدالله ابن ذكوان (١٣١) وصالح بن كيسان (بعد ١٤٠) وهم أعلم به، ولعل ذلك كان في أول الطلب ثم ترك ذلك، واعتاد الحفظ ، وقد قال الذهبي عن صالح بن كيسان، وكان رفيق الزهري في طلب العلم، وإنما طلب في الكهولة (مات بعد ١٤٠) وقد جاوز المئة، فهو يكبر ابن الشهاب بعشر سنين.

(١١٧) ومن ملح قولهم في التدوين: يعيبون علينا أن نكتب العلم، وندونه، وقد قال الله عز وجل (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) تدريب الراوي ٦٥/٢/

التدوين الرسمي للسنة :

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله على المدينة ـ أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم ـ وكان أعلم أهل المدينة يأمره: انظر ما كان من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو سنة ماضية، أو حديث عَمْرة[118] فاكتبه، فإني خفت دروس العلم، وذهاب أهله[119].

وكان الخليفة قد بعث إلى عماله في كافة الأمصار بمثل ما بعث إلى ابن حزم[120] ولكن الخليفة لحق بربه، ولما يصله إلا ما كتب ابن شهاب الزهري[121]، أول من كتب الحديث، ودونه تدويناً رسمياً، ولهذا قال عن نفسه: لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني[122].

وقد اعتبر العلماء زمن الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ابتداء التدوين وردد وا في كتبهم هذه العبارة «وأما ابتداء التدوين للحديث، فإنه وقع على رأس المئة في خلافة عمر بن عبدالعزيز أو نحوها».

ومن هذا يتبين أن التدوين الرسمي الذي تولته الدولة، وأمرت بإشاعته بين الناس، ونشر كتب الحديث في الأمة كان في عصر الإمام الراشد عمر بن عبدالعزيز أما تقييد السنة، وحفظ الحديث في الكتب أو تدوينه في الصحف، فقد قام به الصحابة والتابعون ومن بعدهم دون انقطاع منذ توفى الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم- وسار مع الحفظ جنبا إلى جنب، حتى الذين كانوا يحفظون كانوا يكتبون مايريدون حفظه، فإذا حفظوه محوه، وبعد هذا أصبحت الكتابة أمراً عادياً، وكثرت الكتب بأيدى طلبة العلم، وشاع التدوين بين صفوف العلماء، وكأن

(١١٨) عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية، كانت في حجر السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي أحد الثقات العلماء الأثبات، وقد كتب عمر بن عبدالعزيز إلى ابن حزم أن يكتب له حديث عمرة، ماتت سنة (٩٨) هـ وقيل (١٠٣ هـ) وقيل (١٠٦). تهذيب التهذيب ٤٣٨/١٢ ـ ٤٣٩/ سيدة نساء التابعين وثقها ابن المدينى وفخم أمرها. الخلاصة /٤٩٤/

(١١٩) سنن الدارمي ١٢٦/١/ ورواه البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم. الصحيح ٣٣/١/ بزيادة وابن سعد ٣٨٧/٢/

(١٢٠) قال الامام ابن حجر: وقد روى أبو نعيم في تاريخ أصبهان هذه القصة بلفظ «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الآفاق» انظروا حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاجمعوه. فتح الباري ٢٠٤/١/

(١٢١) قال ابن شهاب : أمرنا عمر بن عبدالعزيز ـ بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفتراً. جامع بيان العلم /٩٨/

(١٢٢) قال مالك : أول من دون العلم ابن شهاب. جامع بيان العلم /٩٨/ وكذا قال الدراوردي /٩٤/.

الدولة بطلبها للكتابة، ونشر العلم، شجعت العلماء على تصنيف الكتب، وطلاب العلم على الكتابة.

هذا عن كتابة الحديث عامة، حيث كانوا يكتبون ما يحفظون، وما يسمعون دون عناية بالتصنيف، أو اتباع طريقة محددة في التدوين، ودون ترتيب للأحاديث ترتيباً معيناً، وكان نتيجة شيوع التدوين أن ظهرت المصنفات التي ترتب الأحاديث على الأبواب الخاصة بالسنن، وبيان ما يجب على المرء اتباعه في حياته من العبادات ومقدماتها، والمعاملات وشروطها.

وقد ظهرت هذه المصنفات في أوائل القرن الثاني الهجري، وقد اختلف في أول من بدأ التصنيف على وجه التأكيد لأنهم متقاربون ولهذا قال العلماء:

ـ أول من صنف بمكة : عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج (١٥٠ هـ)
ـ وأول من صنف بالمدينة : مالك بن أنس (١٧٩) هـ
ـ ومحمد بن اسحاق (١٥١) هـ
ـ ومحمد عبدالرحمن بن أبي ذئب (١٥٨) هـ
ـ وأول من صنف بالبصرة : الربيع بن صبيح (١٦٠) هـ
ـ وسعيد بن أبي عروبة (١٥٦) هـ
ـ وحماد بن سلمة (١٦٧ هـ)
ـ وأول من صنف بالكوفة : سفيان الثوري (١٦١ ه)
وباليمن : معمر بن راشد (١٥٣ هـ)
وبالشام : عبدالرحمن الأوزاعي (١٥٧ هـ)
وبخراسان: عبدالله بن المبارك (١٨١ هـ)
وبواسط : هشيم بن بشير (١٨٣ هـ)
وبالري : جرير بن عبدالحميد (١٨٨ ه)
وبمصر : عبدالله بن وهب (١٩٧ هـ)

ثم تبع هؤلاء علماء كثيرون صنفوا تصانيف كثيرة، وانتشرت بين النـاس، وقـد كان التصنيف في هذا العصر يجمع السنن والآثار، وأقوال الصحابة والتابعين، وآراء أصحـاب

التصانيف في المسائل المعقود لها الباب، وترجيحاتهم عند الاختلاف، وأما بالنسبة لجمع أحاديث في موضوع واحد، فقد سبق إليه التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي (١٠٣) حيث يروى عنه أنه قال: هذا باب من الطلاق جسيم: إذا اعتدت المرأة ورثت وساق فيه أحاديث وقال عاصم الأحول (١٤٢) هـ : قرأت على الشعبي أحاديث الفقه فأجازها لي.

وبعد انقضاء عصر التابعين قام العلماء بتجريد الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما سواها من الأقوال للصحابة والتابعين وفتاوى الأئمة، وجمعها في كتاب واحد، فكان على رأس تلك الكتب كتب المسانيد وهي كتب مرتبة حسب أسماء الصحابة، وسرد ما روي عن كل صحابي من الحديث متتالية، وإن اختلفت دلالتها على الأحكام وقد ألف الكثير من العلماء مسانيد، ولعل من أشهرها «مسند الامام أحمد»

وما إن بزغت شمس القرن الذهبي للسنة وهو القرن الثالث الهجري حتى طلعت علينا شموس العلماء الأفذاذ الذين بزوا كل من تقدمهم ووقفوا حياتهم على طلب السنة وخدمتها، فكانوا قمة العلماء، ومعتمدهم، وقد ألفوا المصنفات، وجمعوا فيها صحاح الأحاديث المنتقاة، وكان مشايخ هؤلاء هم الذين فتحوا لهم الباب، فأينعت ثمار جهودهم في تلامذتهم، وكان على رأسهم الإمام البخاري الذي قام بتأليف جامعه، وتبعه تلامذته، ومن بعدهم أمثال: الإمام مسلم والترمذي وأبي داود وابن ماجه والنسائي وغيرهم، فأصبحت كتبهم مرجع العلم والعلماء، فجزاهم الله تعالى عن العلم وأهله كل خير.

والحمد لله في البدء والختام.

مراجع البحث

١ - القرآن الكريم.
٢ - الأدب المفرد للإمام محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ).
٣ - الاستيعاب لأسماء الأصحاب لابن عبدالبر.
٤ - امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع.
للمقريزى : تقي الدين أحمد بن علي. مطابع الدوحة الوطنية.
٥ - تدريب الراوي شرح تقريب النواوي
للامام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطى (٩١١) الطبعة الثانية (١٣٨٥ هـ)
٦ - تذكرة الحفاظ : للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد بن الذهبي (٤٧٨ هـ)
تصوير دار احياء التراث العربى - بيروت.
٧ - التراتيب الادارية للكتاني
٨ - التفسير الكبير : للامام الرازى
٩ - تقييد العلم : للامام الخطيب البغدادى
١٠ - تهذيب التهذيب : للامام ابن حجر
الطبعة الأولى بمجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن (١٣٢٥ هـ)
١١ - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. لابن عبدالبر
١٢ - الجرح والتعديل . لابن أبي حاتم
١٣ - سنن ابن ماجه : للامام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥)
بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. طبع عيسى البابي الحلبي.
١٤ - سنن أبي داود : للامام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)
طبع دار الحديث - حمص سورية
١٥ - سنن الترمذي : للامام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ)
بتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف - تصوير دار الفكر.
١٦ - سنن الدارمي: للامام الحافظ الحجة أبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني (٢٠٠ - ٢٨٠). شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٨٦ هـ .

١٧ ـ سنن النسائي : للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢١٤ ـ ٣٠٣ هـ)
مطبوع مع زهر الربى للسيوطي ـ شركة الحلبي ـ مصر.
١٨ ـ السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب
تصوير دار الفكر
١٩ ـ السنة ومكانتها في التشريع . للدكتور مصطفى السباعي
طبع المكتب الإسلامي
٢٠ ـ سيرة ابن هشام
٢١ ـ شرح السنة للبغوى : الامام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦ ـ ٥١٦)
تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ المكتب الاسلامي
٢٢ ـ الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية» للشيخ اسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢ ـ ٣٩٣ هـ)
تحقيق احمد عبدالغفور عطار
٢٣ ـ صحيح الامام البخاري : للامام الحافظ أبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦)
طبع استامبول ـ تركية
٢٤ ـ صحيح الامام مسلم : للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١)
بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي
٢٥ ـ صحيح ابن حبان (والمطبوع هو الإحسان تقريب صحيح ابن حبان) للإمام أبي حاتم بن حبان بن أحمد التميمي المضري (٣٥٤ هـ) طبع محمد عبدالمحسن الكتبي ـ مصر.
٢٦ ـ صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني
طباعة دار القرآن الكريم ـ بيروت
٢٧ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد
٢٨ ـ عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعلامة بدرالدين محمد محمود بن احمد العيني (٨٥٥ هـ)
طبع المطبعة المنيرية.
٢٩ ـ الفائق في غريب الحديث للزمخشري.
٣٠ ـ في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب.
٣١ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال
للامام علاء الدين على المتقي الهندي (٩٧٥ هـ) ـ طبعة حلب بتحقيق صفوت السقا وبكري حياني
٣٢ ـ لسان العرب لابن منظور

٣٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للامام الحافظ نور الدين الهيثمي
تصوير دار الكتاب ـ بيروت.
٣٤ ـ مجموع الفتاوى : للامام شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن تيمية النمري الحراني (٧٢٨). تصوير عن الطبعة الأولى (١٣٩٨ هـ)
٣٥ ـ مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد على الصابوني
طباعة دار القرآن الكريم ـ بيروت
٣٦ ـ المستدرك على الصحيحين للامام الحافظ أبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥ هـ)
طبع مكتب المطبوعات الاسلامية ـ حلب تصوير دار المعرفة ـ بيروت.
٣٧ ـ مسند الامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ)
تصوير المكتب الاسلامي للطباعة والنشر.
٣٨ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للامام ابن حجر العسقلاني
تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
٣٩ ـ المغازي للواقدى
٤٠ ـ مفردات القرآن الكريم . لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠)
تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني طباعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.
٤١ ـ مقدمة كتاب الكامل في ضعفاء الرجال للحافظ أبي أحمد عبدالله بن عبدي (٣٦٥)
حققه صبحي البدري السامرائى ـ مطبعة سلمان الأعظمي ـ بغداد.
٤٢ ـ النهاية في غريب الحديث. لابن الأثير الجزري